جامعـــــة اليرمـوك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية

أساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآلية الاستفادة منها في واقعنا المعاصر

"دراسة تربوية "

إعداد الطالب
محمد هايف المطيري

إشراف
الدكتور علاء الدين رحال

حقل التخصص – التربية في الإسلام

١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الإهـــــداء

أهدي هذه الرسالة لكل آمر بالمعروف وناهٍ

عن المنكر، محبّاً لمعالي الأخلاق

وسيـــــــادةالفضيلة، وكارهاً للمنكر

والمعاصي وســـوءالأخلاق وانتشار الرذيلة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآلية الإستفادة منها في واقعنا المعاصر
"دراسة تربوية"

إعداد الطالب:

محمد هايـــف المطيـــري

بكالوريوس التربية الإسلامية، الكويت، ١٩٩٧م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

لجنة المناقشـة

د. علاء الدين حسين رحال.....مشرفاً ورئيساً

أ.د محمد ملكاوي.....مناقشاً خارجياً

د: أحمد ضياء الدين.....مناقشاً داخلياً

د: عماد الشريفين.....مناقشاً داخلياً.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله الكريم المنان، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبينا محمد وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان.. وبعد: فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1]، أحمده تعالى حمداً يليق بجلاله وكما ينبغي لوجهه الكريم ولعظيم سلطانه على تيسيره كتابة هذه الرسالة وتوفيقه لموضوعها .

ومن منطلق قوله ﷺ :« لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[2]... فإني أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الكريم فضيلة الدكتور: علاء الدين رحال – أطال الله عمره بطاعته – الذي شَرُفْتُ بإشرافه على هذه الرسالة، وجاد لي من وقته وأحاطني بالتوجيه والنصح والإرشاد، وقد كان طوال فترة كتابتي للرسالة مثالاً حسنًا للأخلاق الفاضلة، ونموذجًا رائعًا للصدق والإخلاص والتواضع، والله حسيبه، وأسأله أن يثيبه أحسن الثواب في الدنيا والآخرة.

والشكر موصول لجامعة اليرموك – كلية الشريعة– وإدارتها وأساتذتها، على قبولها لي في برنامج الماجستير، وحسن التعامل وتسهيل الإجراءات، والتي كانت سببًا لي بعد الله عز وجل في إتاحة هذه الفرصة، وأسأل الله تعالى أن يجزى القائمين عليها، والمسئولين فيها

١– سورة إبراهيم: آية ٧.

٢– أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الأدب، باب فى شكر المعروف، حديث رقم (٤٨١١)، والترمذى فى جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (١٩٥٤)، عن أبى هريرة. وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

خير الجزاء، وأن يعينهم على أداء واجبهم، وأن تبقى هذه الكلية صرحًا من صـــروح العلـــم والإيمان.

وأخص بالشكر الجزيل الأستاذ الدكتور الفاضل: محمد عقله، عميد كليـــة الـــشريعة بجامعة اليرموك، الذي لم يدخر جهدًا في إبداء آرائه السديدة، وتوجيهاته الصائبة، وكان لذلك أثره الكبير في هذه الرسالة، فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من أفادني من أساتذتي، وزملائي، بدعاء أو بإعارة كتـــاب، أو إهداء نصح أو توجيه، وكل من ساعدني لإخراج البحث بالصورة اللائقة.

فاللهم أحسن إلى من سبقني بالإحسان، وهيئ لي الفرصة لرد جزء من جميل العرفان، واجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وانفع به أمة المسلمين، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

فهرست المحتويات

الإهداء.....ب

لجنة المناقشـــة..... ج

شكر وتقدير..... د-هـ

فهرس المحتويات.....و-ح

اللمخلص.....ط

المقدمة.....١-١٢

مشكلة الدراسة وأسئلتها.....٤-٥

أهداف الدراسة.....٥

أهمية الدراسة..... ٦

الدراسات السابقة.....٧-١٠

منهجية الدراسة.....١١

خطة الدراسة.....١٢

الفصل الأول: ترجمة ابن تيمية، وتعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....١٣-٦٠

المبحث الأول: ترجمة ابن تيمية.....١٤-٤٤

تمهيد.....١٥-١٧

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.....١٧-١٩

المطلب الثاني: أسرته.....١٩-٢٤

المطلب الثالث: نشأته.....٢٥-٢٩

المطلب الرابع: طلبه للعلم.....٢٩-٣٢

المطلب الخامس: شيوخه.....٣٢-٣٤

المطلب السادس: مذهبه.....٣٤-٣٥

المطلب السابع: محَنه ووفاته.....٣٦-٤٤

الفرع الأول: محَنه.....٣٦-٤٠

الفرع الثاني: وفاته.....٤٠-٤٤

المبحث الثاني: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكمه وفضله.....٤٥-٦٠

تمهيد.....٤٦-٤٧

المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٤٨-٥١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الفرع الأول: معنى المعروف والمنكر لغة.....٤٨-٤٩
الفرع الثاني: معنى المعروف والمنكر اصطلاحا.....٤٩-٥١
المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٥٢-٥٤
المطلب الثالث: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٥٥-٦٠
الفصل الثاني: العوامل التي أثرت في وسائل ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهم هذه الوسائل.....٦١-١٦٠
المبحث الأول: العوامل التي أثرت في وسائل ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٦٢-٧٥
المطلب الأول: أثر بيئة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٦٣-٧٠
الفرع الأول: بيئته من الناحية السياسية.....٦٣-٦٦
الفرع الثاني: بيئته من الناحية الاجتماعية.....٦٦-٦٨
الفرع الثالث: بيئته من الناحية الفكرية.....٦٨-٧٠
المطلب الثاني: أثر أسرة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٧١-٧٣
المطلب الثالث: أثر فقه ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٧٤-٧٥
المبحث الثاني: أهم وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ابن تيمية.....٧٦-١٦٠
تمهيد.....٧٧-٨١
المطلب الأول: الاتصال الشخصي.....٨١-٩٣
المطلب الثاني: الخطابة.....٩٣-١٠٠
المطلب الثالث: الدروس العلمية.....١٠٠-١٠٥
المطلب الرابع: مجالس الإفتاء.....١٠٦-١١٢
المطلب الخامس: المناظرة.....١١٢-١٢٩
المطلب السادس: الكتابة والتأليف.....١٢٩-١٣٤
المطلب السابع: الرسائل الشخصية.....١٣٤-١٤٤
المطلب الثامن: الحسبة.....١٤٤-١٥٢
المطلب التاسع: الرحلات.....١٥٣-١٦٠
الفصل الثالث: ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ابن تيمية.....١٦١-١٩٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تمهيد.....١٦٣
المبحث الأول: ضوابط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.....١٦٤-١٨٠
تمهيد.....١٦٤-١٦٧
المطلب الأول: حسن القصد النية.....١٦٧-١٦٩
المطلب الثاني: العلم بما يأمر به وينهى عنه.....١٧٠-١٧٢
المطلب الثالث: الحلم والصبر على تحمل الأذى.....١٧٣-١٧٥
المطلب الرابع: الرفق.....١٧٥-١٧٨
المطلب الخامس: سلوك السبيل القصد(المنهج الصواب).....١٧٨-١٨١
المبحث الثاني: ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....١٨٢-٢٠٠
المطلب الأول: التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....١٨٣-١٨٦
المطلب الثاني: الموازنة بين المصالح والمفاسد.....١٨٧-١٩٠
المطلب الثالث: تقديم الأهم على المهم.....١٩١-١٩٤
المطلب الرابع : تقدير العقوبات المناسبة.....١٩٥-١٩٧
المطلب الخامس: عدم الإنكار في مسائل الخلاف.....١٩٧-٢٠١
المبحث الثالث: آلية الاستفادة من وسائل ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٢٠٢-٢١٠
المطلب الأول: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ٢٠٣-٢٠٤
المطلب الثاني: مجالس الشورى والبرلمانات في بلاد المسلمين وغيرهم.....٢٠٤-٢٠٥
المطلب الثالث: الدوائر الحكومية.....٢٠٥-٢٠٦
المطلب الرابع : وسائل الإعلام.....٢٠٦-٢٠٨
المطلب الخامس: مراعاة قوانين الدول أثناء المرور بها.....٢٠٨
المطلب السادس: الرحلات وأهميتها كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٢٠٨
المطلب السابع: مراعاة الفتاوى السائدة في البلدان الإسلامية، والعادات والتقاليد لكل بلد..٢٠٩
المطلب الثامن: البعثات الدبلوماسية في السفارات والطلبة في الجامعات.....٢٠٩
الخاتمة.....٢١٠-٢١١
فهرست الآيات.....٢١٢-٢١٤
فهرست الأحاديث.....٢١٥-٢١٦
ثبت المراجع والمصادر.....٢١٧-٢٣٠
الملخص بالانجليزية.....٢٣١-٢٣٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الملخـــص

تناولت الدراسة مشكلة إحياء دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه على الواقع بوسائل وأساليب تربوية تحقّق نجاحات هامة في تغيير حال الأمة إلى الأفضل من خلال نموذج ابن تيمية الذي تميّز بالدور الهام في التصدي للمشكلات التي واجهتها الأمة.

فتعرّفت الدراسة على شخصية ابن تيمية وأبرز سماتها، وبيّنت العوامل التي أثّرت في منهجه. وعرضت الدراسة بالتحليل والمناقشة أهم الوسائل والأساليب التي استعملها ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيّنتها بما يَسهل الرجوع إليها والإفادة منها وفهمها بما يتناسب والعصر الحاضر. ووضّحت الدراسة ضوابط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وضوابط تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الواقع.

واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك باستقراء وتحليل ما كتبه ابن تيمية فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودراستها دراسة تربوية واستخلاص النتائج واستنباط الفوائد.

وكان من أهم النتائج التي توصّلت الدراسة إليها الظهور الواضح للبعد التربوي في شخصية ابن تيمية وتشعّب جوانبها التربوية، وأن ابن تيمية كان مثالاً واقعياً للتطبيق العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه استخدم كافة الوسائل المتاحة المشروعة في عصره، وأنه ركّز في منهجه على ضوابط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرورة مراعاتها.

وأوصى الباحث بضرورة الاهتمام بالجوانب التربوية للفقه الإسلامي وإبراز جهود الأئمة في ذلك.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مزايا أمة الإسلام، وجعل به نجاتها واستمرار بقائها، والصلاة والسلام على خير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، نبي الهدى القائل:« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن أمر بالمعروف من أمة الإسلام، ونهى عن المنكر إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أصول هذا الدين ودعائمه، وهو الذي من أجله بعث الله المرسلين، وهو مهمة ووظيفة خاتم النبيين، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2]، ولمّا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل للأمة طوق النجاة، واستمرار بقاء العزة والكرامة، والمحافظة على كيانها وهويتها الإسلامية، جاءت النصوص في الكتاب والسنة مؤكدةً على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وربطت خيرية أمة الإسلام بهذا الأمر العظيم، الذي ما تركته أمة من الأمم

١- أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان؛ حديث رقم(٤٩)، ج١/ص٦٩.

٢- سورة الأعراف: آية ١٥٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

السابقة إلا خسرت الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وقد قال ابن تيمية- رحمه الله تعالى-:« إن صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس»[2].

ورغم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المنزلة العظيمة من الدين، إلا أنه ليس أمرًا مطلقًا، بل له شروط قبله ومعه وبعده، لابد من تحققها، ويتحتم توافرها؛ يقول ابن تيمية:« والقيام بالوجبات من الدعوة الواجبة وغيرها يحتاج إلى شروط يقام بها، كما جاء في الحديث ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه، فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر، والرفق عند الأمر ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود، والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور المنهى فإنه كثيراً ما يحصل له الأذى بذلك ولهذا قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3][4]».

١- سورة آل عمران: آية١١٠.

٢- ابن تيمية، السياسة الشرعية، ج١/ص٦٣.

٣- سورة لقمان: آية١٧.

٤- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص١٦٥-١٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولهذا اعتنى علماء الأمة العاملين من أمثال الإمام ابن تيمية بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانوا يتّبعون طرقاً تربوية في القيام بهذا الواجب، وكانت غايتهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإصلاح والدعوة إلى الحق، ومحاربة الفساد والانحرافات والضلالات عند دعاة الباطل.

وقد كان المسلمون في عهده ﷺ وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح يعظمون هذا الواجب، ويقومون به خير قيام، فالضرورة إليه بعد ذلك أشد وأعظم، لكثرة الجهل وقلة العلم وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم .

وفي عصرنا هذا صار الأمر أشد، والخطر أعظم، لانتشار الشرور والمنكرات التي تنوّعت بتنوع وسائل الإعلام التي أخذت تتنافس في الأشكال والطرق والأساليب ناشرة بذلك كل أنواع المنكرات مما يدخل في العقيدة والأخلاق والسلوك، فضعفت التربية الإسلامية في نفوس الأمة، وكثر دعاة الباطل، وقل الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في غالب البلاد، وعليه فنحن بأمس الحاجة للتعرف على وسائل وأساليب العلماء التربوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودراستها دراسة معمقة وتقريبها للأمة ولطلبة العلم؛ ليسهل تناولها والرجوع إليها والإفادة منها، وتطويرها والبناء عليها بما يتناسب مع عصرنا.

ولهذا اختار الباحث دراسة وسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما للأمة من حاجة ماسة إلى الإفادة منها وتجديدها في هذا الزمان الذي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

كثرت فيه المنكرات والفتن، في محاولة لبعث ما اندثر من معالم وتطبيقات تربوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة.

وقد كان اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية باعتباره أنموذجًا تربويًا رائعًا لعالم رباني نشأ نشأة طيبة في أسرة علمية؛ حيث كان له دور بارز في إحياء هذه الشعيرة في عصره مع ما لاقاه من تقلبات سياسية وفكرية وعقائدية، وتجاذبات وأهواء ووشايات وابتلاءات وسجن وظروف صعبة مر بها ابن تيمية انتهت بموته في السجن، لكن لم يَنتهِ ما قام به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طاعة وتنفيذاً لأمر الله وتقربًا إليه تعالى، وتبليغاً لما وهبه الله من علم، فما كان لله باق وما كان لغيره فان – نحسبه كذلك –.

ولعلنا نتعرف على وسائل ابن تيمية وأساليبه التربوية التي أثّرت هذا التأثير في عصره وبعد عصره، فكان بذلك مجددا للأمة بقيت مواقفه وأساليبه المتنوعة والمؤثرة والملفتة للنظر والمثيرة للجدل أحيانا غضة طرية بما فيها من جوانب الإخلاص والتعبد، والشجاعة الباهرة دون وجل أو تردد، مع المروءة والمثابرة والتجرد، وما ذاك إلا لندرة ما فيها من فوائد علمية أو بطولات جهادية، بما في ذلك كله من معاني تربوية استخلصت من شريعة ربانية، وكأن عهدها منذ سنوات قريبة، وليست منذ قرون بعيدة؛ حيث كتب لها القبول، وتناقلتها الأمة قرنا بعد قرن.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تبرز مشكلة الدراسة في إحياء دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه على الواقع بوسائل وأساليب تربوية حققت نجاحات هامة في تغيير حال الأمة إلى الأفضل, من خلال نموذج حقيقي ومهم، وهو منهج أحد العلماء الذين شهد لهم بالدور المتميز في التصدي للمشكلات التي واجهتها الأمة، وكان لهم دور بارز في الإصلاح التربوي. وستركز الدراسة على الوسائل والأساليب التي استخدمها ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدراستها دراسة تربوية والإفادة منها في واقعنا المعاصر. ومعرفة الضوابط الملازمة لها.

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس وهو: ما وسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضوابطها؟ ويتفرع منه عدة أسئلة:

١. من ابن تيمية وما سيرته؟
٢. ما مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
٣. ما العوامل التي أثرت في منهج ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
٤. ما الوسائل والأساليب التي اتبعها ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
٥. ما ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما طبقها ابن تيمية؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. التعرف على شخصية ابن تيمية وأبرز سماتها.

٢. التعرف على مفهوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. بيان العوامل التي أثرت في منهج ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأثر البيئة من الناحية السياسية والفكرية والاجتماعية، وأثر أسرته في هذا المنهج. وكذلك فقهه.

٤. تحديد الوسائل والأساليب التربوية التي اتبعها ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيانها وتوضيحها توضيحاً يسهل الرجوع إليها والإفادة منها وفهمها بما يتناسب والعصر الحاضر، في محاولة إلى تغيير واقع الأمة لما هو أفضل.

٥.توضيح ضوابط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وضوابط تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الواقع.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في:

١- اتباع ابن تيمية لمنهج علمي دقيق قائم على أسس وقواعد تنطلق من الكتاب والسنة في محاولة تغييرالواقع، ولا سيما عندما ينتشر الفساد لضعف التربية الإسلامية.

٢- وقوف ابن تيمية سداً منيعاً في وجة الانحرافات والفساد بشتى أنواعها، لا سيما في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

٣- إن ابن تيمية أحد علماء الأمة الربانيين الذين لا يستغنى عن تطبيقاتهم العملية التي يستفاد منها في ميدان التربية الحديثة.

٤- الحاجة الماسة والملحة إلى تثقيف الدعاة في الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالأسلوب العلمي القائم على الحجة والبرهان والدليل, وبيان أسس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضوابطه.

٥- إظهار سبق ابن تيمية في وضع الوسائل والأساليب التربوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تشمل الكثير من مجالات الحياة.

الدراسات السابقة:

من خلال إطلاع الباحث على الرسائل الجامعية والكتب المؤلفة حول الموضوع لم يجد الباحث في حدود إطلاعه دراسة مفردة تختص بوسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضوابطها، ولكن وجد الباحث دراسات لها صلة بموضوع الدراسة وهي كالآتي:

١. منهج الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، جاءت الرسالة في بابين: الباب الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوجهة الشرعية والتاريخية والأثر. وهو مكوّن من أربعة فصول: الفصل الأول: تعريفه والحاجة إليه. والفصل الثاني: مشروعيته وفرضيته. والفصل الثالث: تاريخه

١- عبدالجواد بن محمد قنصوة، منهج الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رسالة ماجستير، الجامعة اليمنية، كلية الاداب، قسم الدراسات العليا، ١٩٩٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عبر العصور. والفصل الرابع: مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما الباب الثاني فهو مكون من ثلاثة فصول: الفصل الأول: التعريف بالإمام ابن تيمية. والفصل الثاني: منهج الإمام ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والفصل الثالث: نتائج الإمام ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والحقيقة أن هذه الرسالة القيمة والمفيدة تناولت الكثير من الموضوعات المهمة التي تتعلق بمنهج ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن الباحث أشار في رسالته[1] أن موضوع الوسائل ينبغي أن تفرد وحدها برسالة جامعية لما لها من أهمية، وإضافة الباحث على هذه الرسالة هي في تناول وسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودراستها دراسة تربوية ووضع ضوابط هامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢. المنهج التربوي للإمام ابن تيمية في تغيير المجتمع في بلاد الشام[2]، جاءت هذه الدراسة في ثلاثة أبواب: الباب الأول جاء في فصلين الأول: تعريف بشيخ الإسلام، والفصل الثاني: عصر ابن تيمية من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية. والباب الثاني: العناصر الرئيسة في منهجية شيخ الإسلام التربوية، وهو مكون من خمسة فصول، الفصل الأول: عناصر المنهج التربوي الإسلامي. والفصل الثاني: الأسس التربوية عند الإمام ابن تيمية (الأساس الاجتماعي، والاعتقادي والفكري). والفصل الثالث: أهداف التربية الإسلامية عند الإمام ابن تيمية. والفصل الرابع: أهم الوسائل

١- انظر: صفحة ٣٦٢.

٢- إبراهيم صالح سليمان العمري، المنهج التربوي للإمام ابن تيمية في تغيير المجتمع في بلاد الشام، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، قسم الدراسات الإسلامية ، ١٩٩٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

التربوية التي استخدمها الإمام ابن تيمية. والفصل الخامس: قدرة ابن تيمية على التغيير في الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري. الباب الثالث: منهجية شيخ الإسلام في معالجة أبرز قضايا واقعه وامتداد هذه المنهجية للواقع المعاصر، وهو مكون من فصلين، الفصل الأول: المنهج التربوي لشيخ الإسلام في معالجة الانحراف في الفرق الإسلامية. الفصل الثاني: المنهج التربوي. وهذه الدراسة قيّمة فيها نواح مهمة ورئيسة في حياة شيخ الإسلام ومنهجه التربوي في الإصلاح إلا أنها لم تتطرق إلى الوسائل والأساليب التي اتبعها ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهم ضوابطها بشكل واضح في أبواب الرسالة وفصولها وقد ذكر الباحث في مقدمته أنها" اقتصرت هذه الدراسة على تناول أهم فرقتين من وجهة نظر الباحث في عمل شيخ الإسلام بمنهجيته التربوية لمعالجة قضاياهما بشكل تفصيلي، وهما الصوفية والفلاسفة".

٣. الفكر التربوي عند ابن تيمية[١]، تكونت هذه الدراسة من أربعة فصول على النحو الاتي: الفصل الأول: أهمية البحث في الفكر التربوي عند ابن تيمية، وابن تيمية في الدراسات العربية المعاصرة والدراسات الأجنبية المعاصرة. الفصل الثاني: تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية (العوامل التي أثرت في تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية، ومظاهر تطور الفكر التربوي حتى أيام ابن تيمية، ظهور المدارس التربوية). الفصل الثالث: حياة ابن تيمية. الفصل الرابع: آراء ابن تيمية في

١- ماجد عرسان الكيلاني، الفكر التربوي عند ابن تيمية،مكلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، فرع المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الناشر، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

التربية (فلسفة التربية وأهدافها ومنهاجها ولغة التعليم وطرق وأساليب التربية وآداب العالم والمتعلم، وانتقاد ابن تيمية للفكر التربوي في عصره). الفصل الخامس: وفيه خلاصة للكاتب.

وبعد تتبع فصول الدراسة ومباحثها وهي دراسة تناولت كل هذه الموضوعات القيمة إلا أنها لم تتطرق لوسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهم ضوابطها، مما يتطلب إعداد دراسة تربوية وافية تغني الباحثين وتفيد المهتمين في هذا الجانب المهم من حياة ابن تيمية.

٤. مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، تكونت هذه الدراسة من بابين: الباب الأول: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والباب الثاني: منهج العلماء مع الحكام، وهو مكون من ستة فصول، الفصل الأول: الدخول على الحكام. والفصل الثاني: التزام الصدق والجرأة في الحق. والفصل الثالث: محاسبة العلماء للحكام. والفصل الرابع: تقديم العلم على حظوظ النفس. والفصل الخامس: الحكمة البالغة. والفصل السادس: الكتابة إلى الحكام.وأما الباب الثالث: مناهج العلماء مع الأمة وهو مكون من ثلاثة فصول على النحو الاتي: الفصل الأول: منهج العلماء مع أقرانهم. والفصل الثاني: منهج العلماء مع العامة. والفصل الثالث: منهج العلماء مع المبتدعة.

١- فاروق عبد الحميد حمود السامرائي، جدة، دار الوفاء، ١٩٨٧م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وهذه الدراسة مع أنها تطرقت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند العلماء ومنهجهم في ذلك إلا أنها لم تفرد باباً أو فصلاً خاصاً لمنهج ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تذكر ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإضافة الباحث على هذه الدراسات ستكون كونها دراسة تربوية لوسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وستتناول: معنى المعروف والمنكر، وحكمهما، والعوامل التي أثرت في منهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووسائله وأساليبه في هذا الواجب، و ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

منهجية الدراسة:

تستند الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي: وذلك باستقراء وتحليل ما كَتبة ابن تيمية فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كُتب عن ابن تيمية ، وآراء العلماء ومناقشاتهم حول موضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجمعها جمعا يسهل به تناول الموضوع ودراسة دراسة تربوية، والاستئناس بآراء العلماء وأقوالهم والإفادة من الدراسات التربوية، ومناقشاتها العلمية في ذلك، مع استخلاص النتائج واستنباط الفوائد مع الحرص على التوثيق والتخريج.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

خطة الدراسة:

قام الباحث بتقسيم الدراسة إلى **مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة**. تشمل المقدمة مشكلة الدراسة وأسئلتها، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، ومصطلحات الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة.

أما **الفصل الأول** فجاء لبيان ترجمة ابن تيمية، وتعريف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مبحثين، المبحث الأول لترجمة ابن تيمية، والمبحث الثاني لتعريف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء **الفصل الثاني** لبيان العوامل التي أثرت في وسائل وأساليب ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. في مبحثين، المبحث الأول للعوامل التي أثرت في وسائل وأساليب ابن تيمية، والمبحث الثاني لأهم الوسائل والأساليب التي اتبعها ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما **الفصل الثالث** لبيان أهم ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ثلاث مباحث. المبحث الأول: ضوابط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. والمبحث الثاني: ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والبمحث الثالث الية الاستفادة من وسائل ابن تيمية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الأول: ترجمة ابن تيمية، وتعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة ابن تيمية. وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: أسرته.

المطلب الثالث: نشأته.

المطلب الرابع: طلبه للعلم.

المطلب الخامس: شيوخه.

المطلب السادس: مذهبه.

المطلب السابع: مِحَنه ووفاته.

الفرع الأول: مِحَنه.

الفرع الثاني: وفاته.

المبحث الثاني: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكمه وفضله.

وفيه ثلاثة مطالب:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الأول: ترجمة ابن تيمية

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده

المطلب الثاني: أسرته

المطلب الثالث: نشأته

المطلب الرابع: طلبه للعلم

المطلب الخامس: شيوخه

المطلب السادس: مذهبه

المطلب السابع: مِحَنه ووفاته

الفرع الأول: مِحَنه

الفرع الثاني: وفاته

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

تمهيد:

تتميز ترجمة ابن تيمية عن غيرها من التراجم بطولهـا، وغـزارة محتوياتهـا، وأهمية موضوعاتها، وتعدّد مفرداتها، وكثرة فوائدها؛ وذلك لكثرة الأحداث والوقائع التي عاشها- رحمه الله- وعاصرها، أو التي حدثت بسبب فتاواه واجتهاداته، وصدعه بالحق؛ فقد كانت بعض مواقفه مثيرة للجدل، وذلك لتعرضها لمواضيع لم يتعرض لها أحـدٌ فـي عصره، أو اجتهاداتٍ خالف فيها المذاهب الفقهية، أو لمواقفَ جريئة صدع بالحق فيها مع الحكام، أو أنكر عليهم، فقد كان- رحمه الله - لا تأخذه في الله لومة لائمٍ مـع حـاكم، أو عالم، أو محكوم، وعلى كثرة خلافه مع كثير من الحكام والعلماء، فقد كان- رحمـه الله- موفقًا في كثير مما ذهب إليه من رأي أو فتوى، إذ كانت عاقبة الأمور في الغالب تكـون في صالح ما يريد.

ومهما كان يحدث له من أحداث وكيدٍ وافتراءٍ إلا أن ذلك لم يؤثر في عزيمته، أو يغير من قوة شخصيته وجرأته في الحق، واستمر ثابتًا على ما هو عليه من منهجٍ فريدٍ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر قلَّما نجد له نظيرًا، أو مثيلاً في عصر من العصور.

وتتميز هذه الترجمة العلمية العملية والتاريخية بتسلسل أحداثها، ومفاجآتها مع شخصية ابن تيمية المتجانسة المعتدلة؛ فمع حدة طبعه- أحيانًا- مع خصومه، وشدته في الحق، إلا أنه يتميز بسلامة الصدر والعفو والصفح عن كل من ظلمه، أو كاد له، أو

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

افترى عليه، أو تسبب في سجنه وإيذائه، فقد عفا عن خصومه وهو قادر على البطش بهم بعد أن ظفر عليهم، وعفا عن الجميع عند مرض موته- رحمه الله.

وقد نالت شخصيته الاهتمام الكبير من العلماء والمثقفين والباحثين والعامة؛ لما تميزت به من مواهب عديدة، وإبداعات نادرة، وأفكار فريدة، ولما تركه من إرث ضخم كان له الأثر البيّن في حياة المسلمين الدينية والاجتماعية والفكرية والسياسية.

وقد ترجمت بعض دوائر المعارف للدولة العباسية بخمس وعشرين صفحة، ولابن تيمية بأربعين صفحة! وهذا يدل على مكانة ابن تيمية مقارنة بدولة عاشت ما يقارب الستمائة سنة، وحكَمَها سبعٌ وثلاثون خليفة، ومع ذلك لم تحظ إلا بخمسٍ وعشرين صفحة، وقارن بها هذا الفرد العلَم الذي لم يتول أي منصب، أو وزارة، أو إمارة، ولم يجمع تجارة، ومع ذلك تُرجم له بأربعين صفحة[1].

ومن المؤلفات الفريدة في بسط سيرته: الرد الوافر، لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، والعقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي، أبي عبد الله، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، والأعلام العلية في مناقب وترجمة ابن تيمية من الدرر الكامنة لابن حجر، وغيرها من المؤلفات الكثيرة المشهورة، التي تدل على أن هذه

١- انظر: عائض القرني، إطلالة على ساحل ابن تيمية، ص١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الترجمة مدرسة من المدارس التي يُستفاد ويُتعلم منها الكثير من الجوانب التربوية العلمية والأخلاقية التي تجسدت في شخصيته- رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده

هو شيخ الإسلام[1]، تقي الدين أبو العباس، أحمد ابن العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني النميري حجة الإسلام في عصره[2].

١- تعارف كثير من أهل العلم على إطلاق لفظ شيخ الإسلام على ابن تيمية وعلى غيره من العلماء، ومعناه المعروف عند الجهابذة النقاد المعلوم عند أئمة الإسناد، أن مشايخ الإسلام والأئمة الأعلام هم المتبعون لكتاب الله ﷻ، المقتفون لسنة النبي ﷺ، الذين تقدموا بمعرفة أحكام القرآن، ووجوه قراءاته، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، والأخذ بالآيات المحكمات، والإيمان بالمتشابهات، وقد أحكموا من لغة العرب ما أعانهم على علم ما تقدم، وعلموا السنة نقلاً وإسنادًا، وعملاً بما يجب العمل به، وإيمانًا بما يلزم من ذلك، اعتقادًا واستنباطًا للأصول والفروع من الكتاب والسنة، قائمين بما فرض الله عليهم، متمسكين بما ساقه الله من ذلك إليهم، متواضعين لله العظيم الشأن، خائفين من عثرة اللسان، لا يدَّعون العصمة، ولا يفرحون بالتبجيل، عالمين أن الذي أوتوا من العلم قليلٌ، فمن كان بهذه المنزلة حكم بأنه إمام، واستحق أن يقال له شيخ الإسلام، وهذا ما ينطبق على ابن تيمية- رحمه الله- بشهادة أهل العلم والفضل. (انظر: محمد بن أبي بكر الدمشقي، السرد الوافر، ج١/ ص٢٢-٢٣).

٢- انظر: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي، العقود الدرية، ص١٨، ومرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، ص٢٣-٢٤، وعمر بن علي البزار،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ابن تيمية: يكفي أن تعرفه بهذا الاسم؛ فإذا قلت: ابن تيمية فكفى، ولا تزد على ذلك أوصافًا، فأهل المعرفة وأهل العلم يعرفون من هو ابن تيمية، من خلال آثاره وكتبه ورسائله وجهوده، وثناء الناس عليه، حتى إن بعض الباحثين ذكر أنه قد ألف في ابن تيمية الكثير من الكتب، ما بين رسالة وكتاب وبحث ورسالة دكتوراة وماجستير وبحوث جامعية[1]، فإن هذا الحضور والقبول لابن تيمية على مستوى الجامعات والعلماء وطلبة العلم في العالم يكاد لم يحصل لعالم آخر.

وولد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بحران[2] يوم الاثنين عاشر – أو ثاني عشر – ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمائة هجريًا[3].

وسبب تلقيبه بابن تيمية: أن جدَّه محمد الخضر– أو من فوقه– حجَّ على درب تيماء، فرأى جاريةً خرجت من خباء، فلما رجع وجد زوجته ولدت بنتًا، فرفعوها إليه

= الأعلام العلية، ص١٦-١٧، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١/ص١٦٨.

١- انظر: عائض القرني، إطلالة على ساحل ابن تيمية، ص٢.

٢- حران: هي مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام، قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعربت، فقيل: حران، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة، وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل، وفتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٢٣٥).

٣- انظر: عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص١٦، ومحمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١/ص١٢٤، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧/ص١١، وعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦/ص٨٠، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٢٤١، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢/ص٢٧٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩/ص٢٧١، والمقريزي، السلوك، ج٣/ص١١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فقال: يا تيمية، يا تيمية، أي أنها تشبه تلك الجارية التي رآها بتيماء، فلقب بذلك. وقيل: إن جدَّه محمدًا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة؛ فنسبت الأسرة إليها، وعرفت بها[1].

المطلب الثاني: أســـرتـــه.

إن للأسرة التي يعيش فيها الإنسان أثرًا كبيرًا في بناء شخصيته، واكتساب أخلاقه وطِباعه وميوله، وتكوين أفكاره وتوجهاته؛ فإن الأرض الطيبة تنبت النبات الطيب، والأرض الخبيثة تنبت النبات الخبيث، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾[2].

وكان ابن تيمية من الصغر في عناية الله ﷻ ورعايته، فلا تعرف له صبوة، ولا تحفظ له عثرة، ولم تنقل له زلة، فقد نبت في أسرةٍ طيبةٍ غزيرةٍ بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة، وتميز كثير من أفرادها بسعة العلم والمعرفة، وشُهد لهم بالفضل الكبير، والخلق الرفيع، وحازوا على احترام وتقدير العلماء، ومحبة العامة.

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢ /ص٢٨٩.

٢- سورة الأعراف: آية ٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن أفراد أسرة ابن تيمية الذين لمع نجمهم، وذاع صيتهم: جدُّه مجد الدين أبو البركات[1]، الذي حفظ القرآن في صغره، وسمع من عمه الخطيب فخر الدين، والحافظ عبد القادر الرهاوي، وارتحل إلى بغداد فسمع بها من ابن سكينة، وابن الأخضر، وابن طبرزد، وخلق كثير، وأقام بها ست سنين يشتغل بأنواع العلوم، ثم رجع إلى حران، فاشتغل مع عمه فخر الدين، ثم رجع إلى بغداد فازداد بها من العلوم، وتفقه بها على أبي بكر بن غنيمة، والفخر إسماعيل، وأتقن العربية والحساب والجبر والمقابلة، وبرع في هذه العلوم وغيرها[2].

قال الذهبي: « وقال أبو العباس: كان الشيخ جمال الدين ابن مالك يقول: أُلين للشيخ المجد الفقهُ كما أُلين الحديدُ لداود»[3]، وقال أيضًا: « وكان الشيخ مجد الدين معدوم النظير في زمانه، رأسًا في الفقه وأصوله، بارعًا في الحديث ومعانيه، له اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير، صنف التصانيف، واشتهر اسمه، وبَعُدَ صيته، وكان فرد زمانه في معرفة المذهب، مفرط الذكاء، متين الديانة، كبير الشأن »[4].

وإذا انتقلنا من جده إلى والده وجدناه لا يقل شأنًا عن ذلك؛ فهو شيخ الإسلام شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية

١- هو عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي ابن تيمية الحراني الحنبلي، صاحب كتاب الأحكام، ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة. (انظر: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٥/ص٢٥٧).

٢- انظر: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٥/ص٢٥٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص١٨٥.

٣- عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٥/ص٢٥٧.

٤- المرجع السابق، ج٥/ص٢٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الحراني[1]. ولد سنة سبع وعشرين وستمائة بحران، وسمع من أبي المنجا ابن اللّتي، وأبي القاسم بن رواحة، وحامد بن أميري، وعلي بن أبي الفتح الكناري، وأبي الحجاج بن خليل، وعيسى الخياط، وقرأ المذهب حتى أتقنه على والده، ودرس وأفتى وصنف، وصار شيخ البلد بعد أبيه وخطيبه وحاكمه، وكان إمامًا متقنًا ومحققًا لما ينقله، كثير الفنون، جيد المشاركة في العلوم، له يد طولى في الفرائض والحساب والهيئة، وكان دينًا خيِّرًا متواضعًا، حسن الأخلاق، موطأ الأكناف، كريمًا جوادًا نبيلاً من حسنات العصر، وتوفي ليلة الأحد من ذي الحجة، ودفن في مقابر الصوفية[2].

وأثنى عليه ابن كثير بقوله: «مفتي الفرق الفارق بين الفرق، كان له فضيلة حسنة، ولديه فضائل كثيرة، وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين، وبها كان سكنه»[3].

وأما والدته، فهي ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية، عمرت فوق السبعين سنة، ولم ترزق بنتًا قط، توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة ٧١٦هـ، ودفنت بالصوفية، وحضر جنازتها خلق كثير، وجم غفير، رحمها الله[4]، ومما يدل على تأثر شيخ الإسلام بأمه، وتعلقه بها، وشغفه فيها، وبره لها- ذلك الكتاب

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٣٠٣، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٤٢.

٢- انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥١/ص١٠٤- ١٠٥، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨/ص٤٢.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٣٠٣.

٤ - انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٧٩، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢/ص٢٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الذي أرسله إليها، وعبر فيه عن شوقه لها، وأن بُعده عنها إنما يعود لأسباب ضـــرورية ليس له فيها خيار[1].

وأما إخوته، فكانوا من أهل العلم والفضل والصلاح، وهم:

١. زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. ولد ســنة ثلاث وستين وستمائة بحران، وحضر على أحمد بن عبد الدايم، وسمع من ابن أبـــي اليسر، والقاسم الأربلي، والقطب ابن أبي عصرون، والمجد ابن عـساكر، والفخـــر، وابن شيبان، وآخرين، وجمع له منهم البرزالي ستة وثمانين شيخًا. وكـان يتعـانى التجارة، وهو خيّر ديّن، حبس نفسه مع أخيه بالإسكندرية ودمشق محبة له، وإيثـارًا لخدمته، ولم يزل عنده ملازمًا معه للتلاوة والعبادة إلى أن مات الشيخ وخرج هـو، وكان مشهورًا بالديانة والأمانة وحسن السيرة، وله فضيلة ومعرفة، مـات فـي ذي القعدة سنة ٧٤٧هـ[2].

---

١ – وهذه مقتطفات من هذه الرسالة التي يقول فيها: « من أحمد ابن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقـر الله عينيها بنعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه، سلام الله عليكم ورحمـة الله وبركاته... كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة، ومنن كريمـة، وآلاء جـسيمة، نـشكر الله عليهـا، ونسأله المزيد من فضله، ونعم الله كلما جاءت في نمو وازدياد، وأياديه جلت عن التعداد، وتعلمـون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الـدين والـدنيا، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معـه». (ابـن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص٤٨-٤٩).

٢- انظر: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/ص١٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢. شرف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي الحنبلي[١]. ولد في حادي عشر من المحرم سنة ست وستين وستمائة بحران، وقدم مع أهله إلى دمشق رضيعًا، فحضر بها على ابن أبي اليسر وغيره، ثم سمع ابن علان وابن الصيرفي وخلقًا، وسمع المسند والصحيحين وكتب السنن، وتفقه في المذهب حتى أفتى، وبرع أيضًا في الفرائض والحساب وعلم الهيئة، وفي الأصلين والعربية، وله مشاركة قوية في الحديث، وكان صاحب صدق وإخلاص، قانعًا باليسير، شريف النفس، شجاعًا مقدامًا مجاهدًا، زاهدًا عابدًا ورعًا، يخرج من بيته ليلاً، ويأوي إليه نهارًا. وتوفي- رحمه الله تعالى- يوم الأربعاء رابع عشر من جمادى الأولى بدمشق سنة ٧٢٧هـ[٢].

٣. بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد بن إبراهيم الحراني الفقيه الحنبلي التاجر، أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية لأمه، ولد سنة خمسين وستمائة تقريبًا بحران، وسمع

١- كان- رحمه الله- صاحب صدق وإخلاص، قانعًا باليسير، شريف النفس شجاعًا مقدامًا مجاهدًا زاهدًا عابدًا ورعًا، يخرج من بيته ليلاً، ويأوي إليه نهارًا، ولا يجلس في مكان معين بحيث يقصد فيه، لكنه يأوي المساجد المهجورة خارج البلد، فيختلي فيها للصلاة والذكر، وكان كثير العبادة والتأله والمراقبة والخوف من الله تعالى، ذا كرامات وكشوف، كثير الصدقات والإيثار بالذهب والفضة في حضره وسفره، مع فقره وقلة ذات يده، وكان رفيقه في المحمل في الحج يفتش رحله فلا يجد فيه شيئًا، ثم يراه يتصدق بذهب كثير جدًا، وهذا أمر مشهور معروف عنه، وحج مرات متعددة، وكان له يد طولى في معرفة تراجم السلف ووفياتهم في التواريخ المتقدمة والمتأخرة، وجلس مع أخيه مدة في الديار المصرية، وقد استدعي غير مرة وحده للمناظرة فناظر وأفحم الخصوم، وسئل عنه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني؛ فقال: هو بارع في فنون عديدة من الفقه والنحو والأصول، ملازم لأنواع الخير، وتعليم العلم، حسن العبارة، قوي في دينه، مليح البحث، صحيح الذهن، قوي الفهم رحمه الله. (عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/٧٦-٧٧).

٢- انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧/ص١٢٦، وعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/ص٧٦-٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-YarmoukUniversity
www.manaraa.com

بدمشق من ابن عبد الدايم، وابن أبي اليسر، وابن الصيرفي، وابن أبي عمر وغيرهم، وتفقه، ولازم الاشتغال على الشيوخ، وأفتى بالمدرسة الجوزية، وبمسجد الرمـــاحين بسوق جقمق، ودرس بالمدرسة الحنبلية نيابة عن أخيه الشيخ تقي الدين مدة، وتـــوفي يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة، ودفن بمقابر الصوفية عند والدته[1].

وبعد أن تعرفنا على هذه الأسرة الكريمة التي أحبت العلم، واشتهرت به، تأكد لنا أن نموذج ابن تيمية لا يستغرب خروجه من مثل هذه الأسرة، التي تمثل أنموذجًا فريدًا قلّ نظيره، عاش فيها ابن تيمية، ونما في كنفها، وترعرع في ظلها، وتربى على يدي جـــده ووالده ووالدته، وعاشر إخوانه في صغرهم، وتحمل معهم المشاق والمتاعب في كبرهم؛ وكان لهم الأثر الطيب والبالغ في نفسه ومشاعره وأفكاره وتوجهاته التي عرف بها، فقـــد انطبعت في ذاكرته كلمات وعبارات وإرشادات الجد والوالد والوالدة، ورسخت في ذهنـــه مناقشات الإخوة وحواراتهم، وكل ذلك ساهم في انطلاقة جديدة لعالم فريد ومتميـــز فـــي دعوته، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، باختيار الوسائل والأساليب المناسبة التـــي تمثل سر نجاحه وتفرده، في إحياء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بشكل متميز في زمانه.

١- انظر: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/ص٤٥-٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث: نشأة ابن تيمية

إن من أهم ما تتميز به نشأة ابن تيمية ترعرعه في تلك الأسرة التربوية المنشغلة بطلب العلم، وبحلقات الدرس[1]، الملتزمة بالأخلاق الفاضلة، التي ضحت في سبيل نشر العلم، وصبرت على المصاعب والمحن والشدائد[2]، وصدعت بقول الحق؛ كما سبق ذكره آنفًا، هذا **أولاً**[3].

وثانيًا: نشأته في تلك البيئة المليئة بالأحداث والصراعات والوقائع الجسام، مع انقسامها وتفككها، من حيث تعدد المذاهب والنحل والأعراق والأجناس.

وكل ذلك انعكس على نشأة ابن تيمية، باكتسابه ما عايشه في أسرته، وتربى عليه، وفي استيعابه لما شاهده وسمعه من أحداث ووقائع في بيئته.

١- تولى عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني، والد تقي الدين ابن تيمية، مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين، وبها كان سكنه، وكان له كرسي بالجامع يتكلم عليه أيام الجُمَع من حفظه. (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٣٠٣، وعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٥/ص٣٧٦، وعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١/ص٥٦)، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين بها بعده في السنة الآتية كما سيأتي، ودفن بمقابر الصوفية- رحمه الله- وقد تولى مشيخة دار الحديث السكرية قديمًا العلامة شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية، ثم ولده الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية. (انظر: عبد القادر الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١/ص٥٦).

٢- يروى أن والد ابن تيمية سافر به وبإخوته إلى الشام عند جور التتار؛ فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة، لعدم الدواب؛ فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله، واستغاثوا به؛ فنجوا وسلموا. (انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٨).

٣- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ١٨-١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد تنبأ بعض أهل العلم، ومنهم الإمام الحلبي[1] بمستقبل ابن تيمية؛ لما رأوا حدّة ذكائه، وفصاحة لسانه، وسرعة حفظه واستيعابه[2].

وقد نشأ- رحمه الله- في دمشق نشأة تامة، وأنبته الله نباتًا حسنًا[3]، وأوضح الحافظ أبو عبد الله الذهبي جانبًا من نشأة شيخ الإسلام بقوله: « نشأ في تصوُّن تام وعفاف، وتأله وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة، بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكبَّ على الاشتغال، ومات والده- وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم- فدرس بعده بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبَعُدَ صيته في العالم»[4].

وتلفت هذه النشأة نظر المربين إلى أهمية ما يجب أن يكون عليه الشاب في بداياته من العفاف والعبادة والاقتصاد في الملبس والمأكل؛ لأن اجتماع هذا كله من

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٠.

٢- يروى أن بعض المشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد ابن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلّي أراه؛ فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكتاب، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد ابن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال: يا ولدي، امسح هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا. فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ثم دفعه إليه، وقال: اسمعه علي، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي، امسح هذا. ففعل فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا. فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم؛ فإن هذا لم يُر مثله، أو كما قال. (انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٠).

٣- انظر: عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص١٦.

٤- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الدوافع المهمة لطلب العلم، والإقبال عليه بشوق، ومعرفة مكانته ومنزلته وأهميته والحاجة إليه لاكتمال تلك الشخصية، التي بنيت على أسس متينة تستحق أن تستوعب هذا العلم، وتكون أمينة عليه، وليكون هذا العلم مكملاً لتلك الشخصية التي هُيئت منذ الصغر أن يكون صاحبها من ورثة الأنبياء، وفي أعلى منازل العلماء الربانيين، وأحد أئمة هذا الدين العظيم، والمنافحين عنه بأقوى الحجج والبراهين، الداعين إليه بإظهار فضله ومكانته ومحاسنه في العالمين، ولا يكون هذا إلا لمن تربى مثل هذه التربية، ونشأ مثل هذه النشأة الطيبة.

وقد ذكر ابن عبد الهادي، أن بعض قدماء أصحاب شيخ الإسلام ذكروا نبذة من سيرته، ومبدأ أمره ونشأته، فقد نشأ من حين نشأ في حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم، راتعًا في رياض التفقه، ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال، والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علم الكتاب العزيز، والسنة النبوية ولوازمها، ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًا متألهًا عن الدنيا، صَيِّنًا تقيًا بارًا بأمه، ورعًا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوّامًا قوامًا ذاكرًا لله تعالى في كل أمر، وعلى كل حال، رجّاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقّافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بالمعروف[1].

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ويقول البزار: « نشأ في دمشق أتم إنشاء وأزكاه، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه، وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة... ولم يزل منذ إبّان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد، وختم القرآن صغيرًا»[1].

والمتأمل في هذه الأقوال يلمح تفرد نشأة ابن تيمية منذ مبدئها، من حيث الاجتهاد والمثابرة في طلب العلم، والمواظبة على حلقات الدرس، والتنافس مع الأقران، والتفوق عليهم، والاعتكاف على كتب العلم، وتشرب طرق العلماء ومناهجهم في التأليف، وممارسة المناظرة وأسلوب الحوار والنقاش في مجالس العلم، والتشبع بالأخلاق الفاضلة، مع صفاء النفس، وسلامة الطبع، وحدة الذكاء، وغير ذلك مما يطول ذكره، أدى إلى صقل شخصية فريدة ومتميزة لابن تيمية قلّ نظيرها بشهادة جلّ العلماء.

ولم يكن لابن تيمية وقت فراغ إلا ما لابد منه من أكل أو شرب أو نوم أو نحوه، فكان منشغلاً في كل أوقاته بتحصيل العلم، ما بين قراءة وتكرار وحفظ ومذاكرة واستنباط وكتابة وتأليف وتعليق، فالحياة العلمية هي الحياة التي كان يعيشها- رحمه الله- بكل حب واستمتاع وتضحية وعطاء واسع للأمة.

ومن المواقف التي يحسن التأمل فيها جيدًا فيما يخص نشأته: ما روي من أن ابن تيمية حل لغز[2] الشيخ الإمام العلامة رشيد الدين أبي حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي، بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز، وذلك في حياة والده- رحمه

١- عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص١٦-١٧.

٢- يتناول هذا اللغز اسم ألغزه بوصف أبرزه في لفظ أوجزه لفهم أعجزه ... ما اسم ثلاثي الحروف فثلثهما. انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٩- ٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الله تعالى- وله نحو العشرين من العمر، وكان حَلّهُ في أسرع وقت، بعد أن عجز عنه طلاب العلم، فأثنى عليه الشيخ الفارقي، ونظر والد الشيخ تقي الدين ابن تيمية بعد ذلك في اللغز، وحله في لفظة أخرى، ونظم في ذلك قصيدة، فكتب إليه الشيخ رشيد الدين يثني عليه[1].

ومما يدل على توفيق الشيخ- رحمه الله- منذ صغره: ما يروى من أن الشيخ في حال صغره كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي- كان منزله بطريقه- بمسائل يسأله عنها؛ لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة، وكان يجيبه عنها سريعًا حتى تعجب منه، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه، وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه[2].

المطلب الرابع: طلبه للعلم

إن مثابرة ابن تيمية واجتهاده وسعيه الحثيث في طلب العلم في مراحل حياته المختلفة ظهرت جليًا في ملازمته للعلماء، وحلقات العلم، ومصاحبة أهله، والتّرحال في أرجاء المعمورة اكتسابًا للعلم، وعكوفًا على كتبه دراسةً وفهمًا واستيعابًا وتنقيحًا وتحقيقًا، وفي مناقشته للقواعد العلمية الرصينة التي انطلق منها للإبداع في التأليف، وقوة الحجة في المناظرة والحوار والنقاش، والتفرد بالآراء والفتاوى والاجتهادات الدقيقة، والتفوق في

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٩-٣٨.

٢- انظر: عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالأساليب المقنعة، والوسائل المنتقاة المؤثرة، والمدعومة بالحجج والبراهين الساطعة التي تَمرَّس عليها منذ نعومة أظفاره.

يقول ابن عبد الهادي: « لا تكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث»[1]، ويقول عمر بن علي البزار: « ولم يزل منذ إبّان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد»[2].

والنتيجة الطبيعية لهذا الاجتهاد، وهذه المثابرة في طلب العلم هي الإمامة في الدين، الموصلة إلى رضا رب العالمين جل وعلا، وهذا ما حققه شيخ الإسلام- إن شاء الله- وقد شهد له علماء عصره بشهادات متعددة على ما وصل إليه- رحمه الله- من مكانة رفيعة، ومناقب متعددة، يقول ابن عبد الهادي: « قلت ثم لم يبرح شيخنا- رحمه الله- في ازدياد من العلوم، وملازمة الاشتغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبل الخير حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والإنابة والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص والابتهال إلى الله، وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له، وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله، وحسن الأخلاق»[3].

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢١.

٢- عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص١٧.

٣- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

ودرس ابن تيمية في دار الحديث السكرية التي انتهت رئاستها إلى أبيه نحوًا من أربعة عشر سنة، جلس فيها مصغيًا إلى أقوال العلماء وهم يتناولون بالدرس والشرح المسانيد والسنن، وكتب الصحاح، فسمع منهم مسند الإمام أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود السجستاني، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، والدارقطني، والجمع بين الصحيحين للحميدي، سمع ذلك كله مرات ومرات من والده، ومن الإمام النووي، وابن دقيق العيد، والزملكاني، وغيرهم الكثير، ساعده على ذلك كله محافظته على وقته منذ صغره[1]، فسار بقية حياته في عمل دءوب ومثابرة، حتى وصل إلى ما وصل إليه- رحمه الله- من مكانة علمية رفيعة شهد له بها القاصي والداني.

وبجوار دراسته للحديث وعلومه كان يدرس علومًا أخرى كانت سائدة في عصره، ولا يستغنى عنها العالم المتبحر في علوم الشريعة، وهي ما يعرف بعلوم الآلة، فاشتملت مصادره الأولى على مختلف الفنون[2]، ومن ذلك أنه عكف على كتب التفسير، التي وجدت في عصره، يقرؤها ليتعرف على ما فيها من حق وباطل، ولا يقبل منها إلا ما يستقيم أمام عقله، ويصفه المؤرخون بأنه كان مشغوفًا بذلك، دءوبًا على التعرف على كثير من التفاسير[3].

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩، وعمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص١٨، ومحمد بن أبي بكر الدمشقي، الرد الوافر، ص١٠٢.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧/ ص١٦، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢/ص٤٠٨- ٤٠٩.

٣- انظر: ابن الوردي، تاريخ الوردي، ج٢/ص٢٨٦ وما بعدها، وابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩-٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ودرس علم الرياضة والجبر والمثلثات والفلك، ودرس علوم العربية، وعني بها عناية خاصة[1].

ومما يلفت النظر أن تعدّد العلوم التي تلقاها ابن تيمية لم تكن حاجزًا لبروزه وتميزه في كثير منها، بل ومنافسة المتخصصين فيها، حتى وصل الأمر به أن خالف سيبويه في بعض ما جاء في كتابه، معتمدًا على ما صح لديه من المراجع الأخرى، وكان ذلك كله مصدر جفوة بينه وبين أبي حيان الأندلسي النحوي. قال ابن حجر: « يقال إن ابن تيمية قال لأبي حيان: ما كان سيبويه نبي النحو، ولا كان معصومًا، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعًا ما تفهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته إياه»[2].

وهذه شهادة أخرى من كمال الدين الزملكاني بإبداع ابن تيمية في كثير من العلوم والمعارف التي قلّ أن يتقنها عالم: « كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه، ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها، إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه»[3].

١- انظر: مرعي الكرمي، الشهادة الزكية، ص٥٦.

٢- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص١٧٨.

٣- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المطلب الخامس: شيوخــه

إن تلقي شيخ الإسلام ابن تيمية العلم على يد أكثر من مائتي شيخ[١]، أكسبه ميزة مهمة في الاطلاع على مناهجهم وطرقهم وأساليبهم وأفكارهم وتوجهاتهم، وفي التعــرف على وجهات نظرهم المتعددة، وآرائهم الفقهية المختلفة؛ فأخذ الفقه والأصول عن والــده، وعن الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجا، وبرع في ذلــك[٢]، وقرأ العربية على ابن عبد القوي[٣].

ومن شيوخ ابن تيمية: زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، وابن أبي اليسر، والكمال ابن عبد، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والمجد ابن عــساكر، وأصحاب الخشوعي، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب المقداد، وابن أبــي الخيــر، والجمال يحيى بن الصيرفي، وأحمد بن أبي الخير، والقاسم الأربلي، والشيخ فخر الــدين بن البخاري، والكمال عبد الرحيم، وأبي القاسم المسلم بن علان، وأحمد بن شيبان، وابــن عبد القوي، وابن عبدان، وأبي بكر الهروي، والفخر علي، والشرف ابن القواس، وزينب بنت مكي، وإبراهيم بن الدرجي، وخلق كثير[٤].

١- انظر: محمد بن أبي بكر الدمشقي، الرد الوافر، ج١/ص٣٣، ومرعي الكرمــي، الــشهادة الزكيــة، ص٤٠، وابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٩.

٢- انظر: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/ص٨٠.

٣- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩، وعبد الحي بن أحمد العكــري الدمــشقي، شــذرات الذهب، ج٦/ص٨١.

٤- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩، و٣٨٨، وعبد القادر بن محمد النعيمــي الدمــشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١/ص٥٨، وابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١/ص١٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولم يكن ابن تيمية مجرد مُصغٍ ومستمع مُتلَقٍ للعلم، بل كان متأملاً وفاهمًا ومدققًا ومحققًا وناقدًا ومعلقًا على أقوال العلماء، يقول عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي: « ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم؛ فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وهو دون العشرين سنة»[1].

المطلب السادس: مذهبه

لم يكن المذهب الحنبلي غريبًا على ابن تيمية، فقد بدأ خطوته الأولى في طلب العلم بمذهب الحنابلة، حيث استقى أصوله وفروعه منذ نعومة أظفاره، وقد جلس مُصغيًا في مجالس أبيه وجده- وهما من كبار علماء المذهب الحنبلي- بل كان أبوه يرأس حلقات العلم والدرس في دار الحديث السكرية نحوًا من أربع عشرة سنة، وكان يحضر مدارس ومحافل العلماء، ويشاهد مناظراتهم ومجادلاتهم في المذهب؛ فشب على دراية كبيرة بالمذهب الحنبلي أصولاً وفروعًا[2].

١- عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/ص٨١.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فكان أحد النابهين في المذهب الحنبلي، وناقش أقرانه، وجادل خصومه في وسط ميدانه، وفرَّج مضايق البحث بأدلة قاطعة، ونصر أقواله في ظلمات الشكوك بـــالبراهين الساطعة[1].

ولم يكن- رحمه الله- متقوقعًا على المذهب، بل انطلق يقرأ ويستوعب معـــارف عصره وسابقه وفنونه أصولاً وفروعًا، واستطاع أن يهضمها، فضلاً عن دراسته وتلقيـــه العلم عن مائتي شيخ، كما ذكرنا آنفًا[2]، وكل ذلك جعله يتمتع بشخصية مستقلة بعيدة عن التعصب والجمود.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١- انظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١/ص٥٨.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٩.

www.manaraa.com

المطلب السابع: مِحَنــــه ووفاتـــه.

الفـرع الأول: مِحَنـه

امتُحن شيخ الإسلام ابن تيمية مِحنًا عديدة، وما تكاد تنتهي غلواء إحدى المحن حتى تبدأ محنة جديدة، ليعلي الله بها شأنه، ويكبت عدوه، فقد كان يخرج من كل محنة منتصرًا، وظل هكذا حتى لقي ربه وهو في سجن القلعة بدمشق، ومن هذه المحن: المحنة الحموية[1]، ومحنة الواسطية[2].

١- كان الشيخ قد أملى سنة ٦٩٠ هـ المسألة المعروفة بالحموية في قعدة بين الظهر والعصر، وهي رسالة أجاب بها على سؤال ورد من "حماة" في الصفات.. وذكر فيها مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين، وقد أنكر على المنجمين، فوقع له الرضا من الأمير سيف الدين جاغان والي دمشق، فحصل بذلك ضيق لجماعة، فاتُهِمَ بلا حق بأنه يرى رأي المجسمة أو المشبهة. (انظر: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١/ص٥٠ وما بعدها، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٤).

٢- لما حضر ابن تيمية إلى مصر اجتمع به القضاة وأكابر الدولة في مجلس عقد بالقلعة يوم الجمعة بعد الصلاة، وادعى القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول بالاستواء، وأن الله يتكلم بحرف وصوت، ثم قال: أطلب التعزير على ذلك، التعزير البليغ- يشير إلى القتل على مذهب مالك- ثم قال القاضي ابن مخلوف: ما تقول يا فقيه؟ فأخذ في حمد الله والثناء عليه، فقيل له: أسرع، ما جئت لتخطب. فقال: أأمنع من الثناء على الله تعالى! فقال القاضي: أجب فقد حمدت الله تعالى، فسكت الشيخ، فقال: أجب. فقال الشيخ: من هو الحاكم فيّ؟! فأشاروا: القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي، فكيف تحكم فيّ؟! وغضب. فأقيم الشيخ ومعه أخواه، فحبس... ولم يخرج ابن تيمية إلا بعد رفع القيود، وإلغاء الشروط التي وضعوها من أجله، وخرج مع الأمير سلار، وحضر إليه وفود العلماء والفقهاء، وأمر "سلار" بإقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه، وعُقد له مجلس حضره أكابر الفقهاء، وانتهت على خير. (انظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ص٣٤٢).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد يثور سؤال في هذا المقام يتعلق بأسباب كثرة محن ابن تيمية- رحمه الله تعالى- والمتأمل في سيرته وترجمته يعزو أسباب هذه المحن إلى أمور كثيرة، منها:

أولاً- شخصية ابن تيمية:

تميزت شخصية ابن تيمية بجملة من الصفات كالشجاعة والجرأة جعلت منه محطًا للأنظار، ومثارًا للحساد، ومغيضًا للمبغضين الكارهين، وينقل ابن عبد الهادي عن الذهبي قوله: « لقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه؛ بدّعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن، ولا يماري، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده»[1].

والسر في ثبات ابن تيمية، وقوة عزيمته، وعدم تأثره في كل ما كان يلاقيه من تلك العداوات وكيد الخصوم، هو قوة إيمانه الذي كان يغذيه بكثرة الأذكار، حيث روى تلميذه ابن القيم، أنه حضر عند شيخ الإسلام مرة فرآه صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليه وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها، لأستعد بتلك الراحة لذكرٍ آخر، أو كلامًا هذا معناه[2].

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٣٣.

٢- انظر: ابن القيم، الوابل الصيب، ج١/ص٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وكذلك تميزت شخصيته بقدرة علمية ولسانية وجدلية وتعليمية عالية، تلك المقدرة التي يرى الكثيرون أن فيها حربًا عليهم، فلابد وأن ينازلوه؛ لأنهم وجدوا في المنازلة دفاعًا عن كيانهم ومصالحهم.

وقد أثبتت الوقائع الكثيرة المتعددة أنهم لا يستطيعون مجاراته؛ فهو يتقن العديد من العلوم والفنون، ويحسن الجدال والحوار بالحجة القاطعة، والبرهان الساطع، ويقدم على الصدع بالحق بشجاعة متناهية، ورباطة جأش لا تتوفر عند الكثير، يقول ابن كثير عن ذلك: « كان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه؛ لتقدمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له، ومحبتهم له، وكثرة أتباعه، وقيامه بالحق، وعلمه وعمله»[1].

ومن الصفات التي كانت سببًا في جلب المحن والمتاعب لشيخ الإسلام: حدته، وسرعة انفعاله، وصدمته للخصوم، وازدراؤه لهم، كل ذلك زرع له عداوة في النفوس، يقول الإمام الذهبي عن ذلك: « فإنه مع سعة علمه، وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدين، بشَرٌ من البشر تعتريه حدَّة في البحث، وغضب، وصدمة للخصم، يزرع له عداوة في النفوس، ونفورًا عنه، وإلا والله فلو لاطف الخصوم، ورفق بهم، ولزم المجاملة، وحسن المكالمة، لكان كلمة إجماع»[2]، وأبى الله إلا أن يُتم نوره.

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٣٧.

٢- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ثانيًا- تفرده ببعض المسائل الفقهية:

إن من أسباب تعدّد محن شيخ الإسلام تفرده بآراء في بعض المسائل الفقهية عدّها بعض أهل العلم مخالفة لمذهب جماهير العلماء، ومنها قوله بالكفارة في الحلف بالطلاق، وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، وأن الطلاق المحرم[١] لا يقع[٢]، وفتواه بتحريم شد الرحال إلى القبور، التي حبس على أثرها في سجن القلعة[٣]، وغيرها من المسائل التي تتابعت بسببها الشدائد والمصاعب على شيخ الإسلام- رحمه الله- مما حدا ببعض الفقهاء إلى القول بمنعه من الإفتاء بسببها[٤].

ثالثًا- البيئة والعصر:

إن نشأة ابن تيمية في عصر انتشر فيه المذهب الأشعري في العقيدة، وظن الناس أنه مذهب أهل السنة والجماعة، وأن الخروج عليه إن لم يكن كفر فهو قريب منه، فنافح عن طريقة السلف، وقد كانت له آراء كثيرة تخالف آراء الفقهاء في العقائد خاصة، وقد

١- يقول ابن تيمية: "والطلاق الذي يقع بلا ريب هو الطلاق الذي أذن الله فيه وأباحه، وهو أن يطلقها في الطهر قبل أن يطأها، أو بعد ما يبين حملها طلقة واحدة، فأما الطلاق المحرم: مثل أن يطلقها في الحيض، أو يطلقها بعد أن يطأها وقبل أن يبين حملها، فهذا الطلاق محرم باتفاق العلماء، وكذلك إذا طلقها ثلاثًا بكلمة، أو كلمات في طهر واحد، فهو محرم عند جمهور العلماء. وتنازعوا فيما يقع بها، فقيل: يقع بها الثلاث، وقيل: لا يقع بها إلا طلقة واحدة، وهذا هو الأظهر الذي يدل عليه الكتاب والسنة، كما قد بسط في موضعه. وكذلك الطلاق المحرم في الحيض وبعد الوطء، هل يلزم؟ فيه قولان للعلماء، والأظهر أنه لا يلزم، كما لا يلزم النكاح المحرم، والبيع المحرم. (ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٣/ ص٢٢٤).

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٤٠.

٣- انظر: المرجع السابق، ص٥٤.

٤- انظر: ابن رجب. ذيل طبقات الحنابلة، ص٣٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

سجل ذلك في الفتوى الحموية، ففهم بعض الفقهاء أنه يُعرِّض بهم؛ لأنهم أشاعرة، فأوغر ذلك صدورهم عليه، وتحينوا الفرص للكيد به[1].

هذه الأسباب التي جلبت على ابن تيمية خصومات كثيرة من معاصريه، من الحكام والصوفية والفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم، قد أكدها كثير من عارفي فضل الإمام ومحبيه، وفي هذا يقول ابن رجب وهو يتحدث عن الشيخ عماد الدين الواسطي وإجلاله وتعظيمه لابن تيمية: « ولكن هو وجماعة من خواص أصحابه ربما أنكروا من الشيخ كلامه في بعض الأئمة الأكابر الأعيان، وفي أهل التخلي والانقطاع- يقصد الزهاد والمتصوفة- ونحو ذلك، وكان الشيخ- رحمه الله- لا يقصد بذلك إلا الخير والانتصار للحق، وطوائف من أئمة أهل الحديث وحفاظهم وفقهائهم كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام، ولا الفلاسفة، وكما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين كالشافعي وأحمد»[2].

الفرع الثاني: وفاتـــــه

جاءت وفاة ابن تيمية أثناء مواجهته لإحدى المحن والشدائد التي كانت جزءًا من حياته، والتي كان يواجهها بكل جلد وصبر، دون انتظار لنتائجها بعدما أدى الذي عليه من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدع بالحق.

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٨٣، ١١١، ٢١١، ٢٤٨.

٢- ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ص٣٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد كان- رحمه الله- مدرسة في الثبات على الحق، ومثالاً في الصبر، ونموذجًا في التضحية، ففي ليلة الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ٧٢٨ هـ، توفي- رحمه الله- في سجنه بقلعة دمشق، على أثر مرض ألمّ به نحوًا من بضعة وعشرين يومًا، وكان سجنه هذا بسبب فتواه في تحريم شد الرحال إلى القبور[١]، كما تقدم آنفًا[٢].

ويصف ابن كثير جنازته بقوله: "ثم شرعوا في غسل الشيخ.. ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة، وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم.

ثم ساروا به...ودخلوا به إلى الجامع الأموي والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها، وعن يمينها وشمالها ما لا يحصى عدتهم إلا الله، فصرخ صارخ، وصاح صائح: هكذا تكون جنائز أئمة السنة، فتباكى الناس، وضجوا عند سماع هذا الصارخ، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصًا، لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة، جو الجامع وبرى الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ونوى خلق الصيام؛ لأنهم لا يتفرغون هذا اليوم لأكل ولا شرب، وكثر الناس كثرة لا تحد ولا توصف، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السرعة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب- لغَيبة الخطيب بمصر- فصلى عليه إمامًا، وهو

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٥٤.

٢- انظر: المرجع السابق ص ٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

الشيخ علاء الدين الخراط، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد.. واجتمعوا بسوق الخيل في مكان فسيح وضعت الجنازة، وتقدم للصلاة عليها في السوق أخوه زين الدين عبد الرحمن، ثم حملت الجنازة إلى قبره، ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله قبيل العصر رحم الله الجميع[١].

ثم صار الناس يتناوبون الصلاة عليه في القبر ممن لم يتمكن من الصلاة عليه في المرات السابقة، وما وصل خبر موته إلى بلد إلا صلى عليه في جميع جوامعه، وخصوصًا في الشام ومصر والعراق وتبريز والبصرة وغيرها[٢]، وقد رثي بمراثٍ كثيرة لا يسع المجال لذكرها[٣]، وقد كانت جنازتــه- رحمه الله- مثالاً واضحــًا لقول الإمام أحمد بن حنبل: «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم شهود الجنائز»[٤].

رحمه الله رحمة واسعة؛ فقد عاش كبيرًا منافحًا عمّا كان عليه من دين وعقيدة ومبدأ، ومات على ذلك صابرًا محتسبًا، مرفوع الرأس والمكانة والقدر، شأنه شأن كثير من علماء المسلمين الذين قدموا الكثير من التضحيات في سبيل إعلاء شأن هذا الدين، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فهو القائل: « إني إن قتلت كانت لي شهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة، ولو نفوني إلى قبرص دعوت أهلها

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص١٣٨.

٢- انظر: عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص٨٥.

٣- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٦٩ – ٥٠٢، وابن الــوردي، تــاريخ ابــن الــوردي، ج٢/ص٤٠٦ -٤٠٧.

٤- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠/ ص٣٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إلى الله وأجابوني، وإن حبسوني كان لي معبدًا، وأنا مثل الغنمة كيفما تقلبت تقلبت على صوف»[1].

وبعد ذكر هذه المقتطفات اليسيرة من سيرة شيخ الإسلام- رحمه الله- والتي لا يمل القارئ منها لأهميتها، ولكثرة أحداثها وإثرائها لحياة الأمة، يتبين أهمية وجود العالم الرباني فيها، وتجديده للدين وللبحث العلمي، إحياءً للسنة بعد موتها واندثارها، وكسرًا لحالة الجمود التي سيطرت على الأمة، فأضعفت الاجتهاد، وأصلت للتقليد والانغلاق الذي قطع الشريان العلمي في الأمة، وأرهب البحث العلمي وجرَّمه، بل وفرض العقوبات عليـــه.

فالمتأمل لسيرة ابن تيمية بدراسة مستفيضة من عدة جوانب، يدرك أن أمة الإسلام لن تموت وإن تعاقبت عليها الأمراض، وأصابها ما أصابها، يقول النبي ﷺ: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[2]، الذي هو سر بقائها وتماسكها، مما يحملنا مسؤولية الحفاظ على ما ورثته الأمة من علمائها في عصورها

١- الغياتي، ناحية من حياة الشيخ ابن تيمية، ص٣٠.

٢- انظر: الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم(٨٥٩٢)، ج٤/ ص٥٦٧، وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم(٤٢٩٣)، ج٤/ ص١٧٨. يقول الزركشي: أخرجه أبو داود في سننه أول كتاب الملاحم، عن شرحبيل بن يزيد المعافري، عن علقمة، عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله، قال أبو داود: رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني عن شرحبيل الراوي لم يجزم برفعه، قال المنذري: وعبد الرحمن بن شريح ثقة من رجال الصحيحين، وقد عضل الحديث انتهى. (الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، ج١/ص١٨٥. وقال الألباني: (صحيح). (الألباني، الجامع الصغير وزيادته، ج١/ ص ٢٧٦).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

الماضية من تراث عظيم، وثروة علمية هائلة يجب الاعتزاز بها، وتوظيفها في الحاضر والمستقبل.

قال عبد الحميد الجزائري:

إذا اللهُ أحيا أمةً لنْ يردَّها

إلى الموتِ جبارٌ ولا متكبرُ[1].

وهنا نؤكد أننا بأمس الحاجة إلى إحياء سيرة علمائنا الأجلاء من أمثال ابن تيمية، والتعريف بها، ودراستها وتنقيحها، والنظر فيها، والتأمل في أحداثها؛ لأنها تمثل أرضية صلبة لانطلاقة حضارية جديدة تناسب لغة العصر الحاضر، وتجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأما ما نسمعه أو نقرؤه من الدعوة لترك المخزون الضخم من تراثنا العلمي، وعدم الانشغال به، فدعوة باطلة لا أساس لها من الصحة، ويجب ردها، وعدم النظر إليها؛ إذ لا معارضة بين المحافظة على أصالة الأمة، الذي تمثله سيرة علمائنا، وميراثهم العلمي، مما جعلهم منارات هدى يقصدها القاصي والداني، وبين القيام بحداثةٍ معاصرةٍ على أصول تراثنا العظيم وقواعده.

١- انظر: علي بن نايف الشحود، موسوعة الخطب والدروس، ص١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكمه وفضله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى المعروف والمنكر لغـــــة.

الفرع الثاني: معنى المعروف والمنكر اصطلاحًا.

المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

تمهيد:

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلة رفيعة عالية في دين الإسلام، وهو سبب تميزها، وأفضليتها، وتقدمها على باقي الأمم؛ لذلك فإن العلماء العاملين الناصحين لأمتهم يجعلون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أهم أولوياتهم الدعوية التي لا تقوم الملة إلا بهما، ولا يستقيم حال الناس من حاكم ومحكوم إلا معهما، ومن أبرز هؤلاء العلماء ابن تيمية– رحمه الله تعالى– حيث ضرب مثالاً واقعيًا في التطبيق العملي للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بأسلوب تربوي فريد شهد له كثير من العلماء، منهم الحسن بن حبيب؛ حيث يقول: « وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر»[1].

ويقول شمس الدين بن عبد الله المنصوري، بعد أن أطنب في الحديث عن صفات شيخ الإسلام، قال:« وكان ممن وُصف في قوله تعالى:﴿ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ »[2][3].

ويقول محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي: « كان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بالمعروف»[4]، ويصف الذهبي أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر

١– محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، ج١/ص٩٦.

٢– سورة التوبة: آية ١١٢.

٣– محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، ج١/ص١٢٤– ١٢٥.

٤– ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بقوله: « وكان رأسًا في العلم يبالغ في إطراء قيامه في الحق والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مبالغة ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد، ولا لحظتها من فقيه»[1].

وقد أبلى العلماء قديمًا وحديثًا بلاءً حسنًا في الحديث عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من حيث معناه، ومشروعيته، وفضله، وأهميته، ومجالاته، فقد أفردوا له أبوابًا وفصولاً، بل ومؤلفات مستقلة تدل على تنبه أهل العلم والفضل لقيمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأهميته في نهوض الأمة وتقدمها حتى تأخذ مكانها الصحيح بين الأمم، حيث إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو منهج التصحيح في الأمة، وبه تتدارك الخلل، وتبتعد عن مواطن الزلل، وتوقف معاول الهدم في الأمة التي تنخر في جسدها ليل نهار دون أن يشعر بها أحد، مما يقتل الأمة من الداخل، ويجيء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ليسد النقص، ويصلح العيوب، ويأخذ على أيدي السفهاء، ويمنع أهل الأهواء وأصحاب النفوس المريضة من الاستمرار في غيهم وإغوائهم.

ويأتي هذا المبحث ليتناول الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بإيجاز واختصار؛ فهي ليست دارسة متخصصة فيه، لكنها تتناوله باعتباره منهجًا استخدمه شيخ الإسلام في دعوته وإصلاحه، بوسائل وأساليب متعددة كان لها أثر بارز في نجاحه وتميزه في دعوته وجهاده.

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

اشتق المعروف من الأصل الثلاثي (عرف)، فيقال: عَرَفه يَعْرِفُه عِرفة وعِرفانًا وعِرِفَّانًا ومَعْرِفةً واعتَرَفَه[1]. واشتق المنكر من الأصل الثلاثي (نكر)، ويقال: النُّكْرُ والنَّكْراءُ: الدَّهاءُ والفِطنة، ورجل نَكِرٌ ونَكُرٌ ونُكُرٌ ومُنْكَرٌ من قوم مَناكِير: دَاهٍ فَطِنٌ[2].

ويُعرّف بعض أهل اللغة المعروف بضده، وهو المنكر[3]، والمعروف الجود، وقيل: هو اسم ما تبذله وتسديه، قال الزجاج: المعروف هنا ما يستحسن من الأفعال، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير، وتطمئن إليه، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه[4]، أو ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه[5].

١- انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/ص٢٣٦-٢٣٧.

٢- انظر: المرجع السابق، ج٥/ص٢٣٢.

٣- انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/ص٢٤٠، والرازي، مختار الصحاح، ج١/ص١٧٩، والزبيدي، تاج العروس، ج١٤/ص٢٩٠.

٤- انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/ص٢٤٠

٥- انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٤/ص٢٨١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وأما المنكر فهو خلاف المعروف، وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه[1]، ومن الملاحظ أن كثيرًا من علماء اللغة عرفوا المنكر بضدّه، وهو المعروف، وعرّفوا المعروف بضدّه، وهو المنكر؛ لوضوح دلالة اللفظ على معناه، بل إن بعض علماء اللغة تجاوز المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي للمعروف والمنكر، كما في تعريف ابن منظور السابق وغيره.

الفرع الثاني: معنى المعروف والمنكر اصطلاحًا

تعددت تعريفات العلماء للمعروف والمنكر، في حين يلحظ المتأمل فيها وجود تقارب في بعضها، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

أولاً: عرّفهما أبو السعود بقوله: «هما المنتَظمان لكل خير أو شر»[2].

ثانيًا: يرى البغوي والثعالبي أن المعروف: «الشريعة والسنة، والمنكر: ما لا يعرف في شريعة ولا سنة»[3].

١- انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥/ص٢٣٣.

٢- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٤/ص٨٢.

٣- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، ج٢/ص٢٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ثالثًا: يرى الطبري أن أصل المعروف: «كل ما كان معروفًا ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وأصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه قبيحًا فعله»[١].

رابعًا: عرفهما النسفي بعدة تعريفات هي: «المعروف: ما استحسنه الشرع والعقل، والمنكر: ما استقبحه الشرع والعقل، أو المعروف: ما وافق الكتاب والسنة، والمنكر: ما خالفهما، أو المعروف: الطاعة، والمنكر: المعاصي. والدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك»[٢].

خامسًا: عرفهما الآلوسي بقوله: «المعروف: الطاعات، والمنكر: المعاصي التي أنكرها الشرع»[٣].

سادسًا: عرفهما الشوكاني بقوله: «المنكر: وهو كل قبيح عقلاً أو شرعًا، والمعروف: وهو كل حسن عقلاً أو شرعًا»[٤].

سابعًا: يرى ابن تيمية أن المعروف: «يعم كل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به، والمنكر: يعم كل ما كرهه الله ونهى عنه، وهو المبغض» [٥].

من يتأمل في التعريفات السابقة يجد أن العلماء متقاربون في نظرتهم إلى معنى المعروف والمنكر؛ فالمعروف هو كل خير، أو حسن، أو مستحسن، أو محبوب، أو

١- الطبري، تفسير الطبري، ج٤/ص٤٥.
٢- النسفي، تفسير النسفي، ج١/ص١٧٠.
٣- الألوسي، روح المعاني، ج٤/ص ٢٨.
٤- الشوكاني، فتح القدير، ج٢/ص٣٧٩.
٥- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص٣٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

طاعة؛ أي: ما يوافق الكتاب والسنة، والمنكر: كل شر، أو قبيح، أو مستقبح، أو مكروه، أو معصية؛ أي ما يخالف الكتاب والسنة.

وخلاصة الأمر أن ما وافق الشرع فهو: معروف، وما خالفه فهو: منكر، ولو لم يوافق العقل؛ لأن عقول الناس تتفاوت، والميزان هو كتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ)، مع التأكيد على أنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح الوحي الصحيح أبدًا[1]، وقد ألف شيخ الإسلام كتابًا قيمًا في ذلك أسماه "درء تعارض العقل والنقل"، أو "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول".

وقد حاول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه توسيع وتعميم دائرة المعروف والمنكر، فهو يُدخل في المعروف ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به، ويُدخل في المنكر كل ما كرهه الله تعالى ونهى عنه، وهو المبغض، وهو ما يتوافق مع نظرته الشمولية لقاعدة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[2].

١- انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة، ج٤/ ص١٢٠٧.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص٣٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نقل العديد من العلماء إجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولم يخالف في ذلك أحد، ومنهم أبو بكر الجصاص؛ حيث يقول: «أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبيَّنه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه»[1]، وقال النووي: «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة»[2].

واختلف أهل العلم في وقوع هذا الواجب على عدة أقوال[3]، منها: هل هو وجوب عيني أو كفائي؟ أو وجوب عيني عند الاستطاعة يتحول إلى القلب عند عدم القدرة؟ وغيرها من الأقوال التي لا يسع المقام لبسطها في هذه الرسالة؛ لأنه ليس هذا موضوعها، وقد تناولت العديد من الكتب القيمة حكم الأمر بالمعروف قديمًا وحديثًا بالشرح والتفصيل.

وقد رجح شيخ الإسلام وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على وجه الكفاية، واستدل بعدة أدلة، منها قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

١- أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، ج٤/ص١٥٤.

٢- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢/ ص٢٢.

٣- اختلف أهل العلم في وقوع هذا الواجب: هل هو وجوب عيني، أو وجوب عيني عند الاستطاعة، ويتحول إلى القلب عند عدم القدرة، أو وجوب كفائي؟ وهو قول جماهير أهل العلم، منهم قول شيخ الإسلام ابن تيمية. (انظر: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج١/ ص٤٦٢، ٤٦٣، ط ١٩٧٢، وهو قول ابن حزم الظاهري. (انظر: ابن حزم، المحلي، ج١/ص ٢، و٢٦، وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص١٦٥).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، فالله تعالى أوجب ذلك على الكفاية، ويقول رحمه الله: «وهذا واجب على كل مسلم قادر؛ وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره»[2].

ويرى رحمه الله أنه ينبغي لمن أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر أن يكون فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، فالفقه قبل الأمر؛ ليعرف المعروف، وينكر المنكر، والرفق عند الأمر؛ ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود، والحلم بعد الأمر؛ ليصبر على أذى المأمور المنهي؛ فإنه كثيرًا ما يحصل له الأذى[3]، وهذه نظرة فقهية تربوية؛ إذ لا يقتصر الأمر على مجرد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بل يتعدّاه إلى الرفق، ثم إلى الحلم؛ فالهدف إقناع الآخر بالأمر ليفعله إن كان خيرًا، أو يتركه إن كان شرًا.

وعند النظر والتأمل في هذا الرأي، يتبين أن كل فرد يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب عليه أن يقوم بهذا الواجب، لكن بحسب ما يعرف من المعروف فيأمر به، ويعرف من المنكر فينهى عنه، فهناك منكرات معروفة قلّما يجهلها أحد من أمة الإسلام؛ كسبّ الدين، وارتكاب الفواحش، والدعوة إليها، وشرب الخمر، والإفطار في رمضان لغير عذر وغيرها، ولكن يبقى الإنكار وكلٌّ فيه بحسب قدرته ورفقه، وصبره على الأذى.

١- سورة آل عمران: آية ١٠٤.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/٦٥-٦٦.

٣- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص١٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا يمكن أن نخوّف الناس من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فلا بدّ من تشجيعهم عليه، مع التأكيد على الرفق والحكمة والصبر على الأذى، وعدم الوقوع في منكر أعظم مما ينهى عنه؛ بالنظر في عواقب الأمور.

ولا بدّ أيضًا من التفريق بين اتخاذ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عملاً واحتسابًا في الأسواق أو الأماكن العامة بشكل مستمر، فهذا يكون للعلماء والعارفين بأصول الشريعة، وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ للتعامل الصحيح مع كثرة ما يواجهون من المنكرات على اختلافها، أما النوع الآخر للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهو ما يكون لكل شخص مع أهله وجيرانه ومجلسه[1].

---

١ – سيأتي المزيد من التفصيل في التفريق بين الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند تناول الحسبة كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تواترت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على فضل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومنها ما يلي:

أولاً: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب خيرية وأفضلية هذه الأمة على غيرها من الأمم، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1]، فإن هذه الأمة خير الأمم للناس، والمسلمون أنفع لغيرهم، وأعظمهم إحساناً إليهم؛ لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف، ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف، ونهوا عن كل منكر لكل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق، أما سائر الأمم، فلم يأمروا كل أحد بكل معروف، ولا نهوا كل أحد عن كل منكر، ولا جاهدوا على ذلك[2].

١- سورة آل عمران: آية ١١٠.

٢-انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، قال: «خَيْرَ الناس لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ في السَّلاَسِلِ في أَعْنَاقِهِمْ حتى يَدْخُلُوا في الإِسْلاَمِ»[1].

ويقول ابن تيمية: «ففي أمة محمد من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذي فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد، ما لم يوجد مثله في الأمتين»[2].

ولهذا كان من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر خير الناس وأتقاهم؛ فعن درّة بنت أبي لهب قالت: قلت: يا رسول الله، من أتقى الناس؟ قال:« آمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم»[3]، فإنه لو وقع في المنكرات، أو لم يفعل المعروف لم يقبل قوله من أمر أو نهي، بل يصبح محلاً للسخرية والاستهزاء، قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4].

١- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، بـاب:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، حديث رقم (٤٢٨١)، ج٤/ص١٦٦٠.

٢- ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٣/ ص١٠٦.

٣- أخرجه ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأدب، ما قالوا في البر وصلة الـرحم، حـديث رقم(٢٥٣٩٧)، ج٥/ص٢١٨، وفي رواية الطبراني: "خير الناس أتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم. (الطبراني، المعجم الكبير، باب الدال، درة بنت أبي لهـب بـن عبـد المطلب، واسم أبي لهب: عبد العزى، حديث رقم (٦٥٧)، ج٢٤/ ص٢٥٧)، قال الألباني: (ضعيف). (الألباني، ضعيف الترغيب والترهيب، كتاب الحدود وغيرها، الترغيب في الأمر بالمعروف، والنهـي عن المنكر، والترهيب من تركهما والمداهنة فيهما، حديث رقم (١٣٨٩)، ج٢/ ص٥٢).

٤- سورة البقرة: آية ٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ثانيًا: إن قيام المؤمنين والمؤمنات بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سبب من أسباب جلب رحمة الله، ورضاه ومدحه وثنائـــه، يقـــول ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]، فأول صفات المؤمنيـــن والمؤمنـــات كونهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، يقول أبو السعود: «إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة، وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد درجتهم في الفضل؛ أي: أولئك المنعوتون بما فـــصّل مـــن النعوت الجليلة سيرحمهم الله؛ أي: يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة»[2].

وفي المقابل، جعل الله من أهم صفات المنافقين أمرهم بـــالمنكر، ونهـــيهم عـــن المعروف، يقول تعالى في كتابه العظيم:﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾[3].

ثالثًا: إن فلاح الأمة في الدنيا والآخرة مرتبط بقيام فئة منها بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

١- سورة التوبة: آية ٧١.

٢- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٤/ص٨٢

٣- سورة التوبة: آية ٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وهذا متوجه إلى العلماء بالمعروف وبالمنكر؛ لأنه لا يجوز أن يدعو إلى الخير إلا من علمه، ولا يمكن أن يأمر بالمعروف إلا من عرفه، ولا يقدر على إنكار المنكر إلا من يميزه[2].

وقد توّعد الرسول ﷺ الأمة بالعقاب إذا تخاذلت عن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ، أو لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا منه، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[3].

رابعًا: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الأنبياء وورثتهم من العلماء، يقول ﷻ:﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4]، يقول ابن تيمية: «هو لبيان كمال رسالته؛ فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحلّ كل طيب، وحرم كل خبيث»[5].

١- سورة آل عمران: آية ١٠٤.

٢- انظر: ابن حزم، الإحكام، ج٥/ص١١٨.

٣- أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب: الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم (٢١٦٩)، ج٤/ص٤٦٨، قال أبو عِيسَى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ، حدثنا عَلِيُّ بن حُجْرٍ، أخبرنا إسماعيل بن جَعْفَرٍ، عن عمر بن أبي عَمْرٍو بهذا الإسناد نَحْوَهُ. قال الشيخ الألباني: (حسن لغيره). (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الحدود وغيرها، الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترهيب من تركهما والمداهنة فيهما، حديث رقم (٢٣١٣)، ج٢/ص٢٨٦).

٤- سورة الأعراف: آية ١٥٧.

٥- ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص١٩٩- ٢٠٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وروى حسان بن سليمان، عن النبي ﷺ قال: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه»[1].

ولهذا وصّى لقمان الحكيم ابنه بالقيام بهذا الواجب العظيم في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[2]، ولابد لمن يأمر بالمعروف وينهى عن لمنكر أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى؛ فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر، كان ما يفسد أكثر مما يصلح[3].

وإن الحديث عن فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليطول؛ فهو سبب فلاح الأمة ونجاحها في الدنيا والآخرة، وسر أفضلية وخيرية أمته ﷺ على باقي الأمم، وصفة يتحلى بها أهل الإيمان، وهو شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء، الذين لم يألوا جهدًا في الإصلاح والدعوة، وقد تفرد ابن تيمية- رحمه الله- بمنهج متميز في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن أسباب هذا التفرد ما استخدمه- رحمه الله- من

١- المتقي الهندي، كنز العمال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإكمال من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٣/ص٣٥. يقول الزيلعي: "قلت: رواه ابن عدي في كتابه الكامل من حديث كادح بن رحمة القرني، عن عبد الله بن لهيعة، عن ابن أبي حبيب، عن مسلم بن جابر الصدفي، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره سواء. وفيه حديث مرسل رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية، ثنا بقية بن الوليد الحمصي، عن حسان بن سليمان، عن أبي نضرة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره، وبهذا السند رواه الثعلبي في تفسيره. (الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، ج١/ ص٢١٣).

٢ – سورة لقمان: آية ١٧.

٣- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص١٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وسائل وأساليب في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كان لها أطيب الأثر في نجاحه في دعوته، وسيتناول الفصل القادم هذه الوسائل والأساليب بالدراسة والتحليل.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الثاني: العوامـــل التي أثـــرت في وسائل ابـــن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهم هذه الوسائل. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العوامل التي أثرت في وسائل ابن تيمية في الأمـــر بالمعـــروف والنهي عن المنكر. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـــب الأول: أثر بيئة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: بيئته من الناحية السياسيـــة.

الفرع الثاني: بيئته من الناحية الاجتماعية.

الفرع الثالث: بيئته من الناحية الفكريـــة.

المطلب الثاني: أثر أسرة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: أثر فقه ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: أهم وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ابن تيميـة. وفيـــه تسعـــة مطالـــب:

المطلب الأول: الاتصال الشخصـــي.

المطلب الثاني: الخطابـــــــة.

المطلب الثالث: الدروس العلميـــة.

المطلب الرابع: مجالـــس الإفتـــاء.

المطلب الخامس: المناظـــــــرة.

المطلب السادس: الكتابة والتأليـــف.

المطلب السابع: الرسائل الشخصيـــة.

المطلب الثامن: الحسبـــــــة.

المطلب التاسع: الرحـــــــلات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول: العوامل التي أثرت في وسائل ابن تيمية في الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر بيئة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر. وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: بيئته من الناحية السياسية.

الفرع الثاني: بيئته من الناحية الاجتماعية.

الفرع الثالث: بيئته من الناحية الفكريـــة.

المطلب الثاني: أثر أسرة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: أثر فقه ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الأول: أثر بيئة ابـن تيميـة في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

سبق ذكر ما للبيئة التي يعيش الإنسان فيها من أثر في تكوين شخصيته وطباعه، سيما تلك البيئة التي تزخر بكثير من الأحداث، وتموج بها الوقائع، وقد عاش شيخ الإسلام ابن تيمية في بيئة عصفت بها رياح الفتن والضلال والانحراف والفساد، وزخرت بكثيـر من الأجناس والفرق والملل والنحل، وظهرت فيها المفاسد والمنكـرات، وبـرزت فيهـا المسائل الفقهية المُشكِلة، وشاعت البدع والأهواء، وتعددت المذاهب والعقائد التي لم تكـن فيما مضى.

وسنتناول في هذا المطلب، بشيء من التفصيل، أثر البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية في وسائل ابن تيمية وأساليبه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلـك على النحو التالي:

الفرع الأول: بيئته من الناحية السياسية

إن الوحدة التي عاشتها الأمة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين مكنـت لها في الأرض، وجعلت منها أمة قوية مُهابة، إلى أن ظهرت بذور الفتن والانقـسامات، وبوادر النزاعات والصراعات التي أدت بالأمة إلى الضعف والهوان، حتى طمـع فيهـا الأعداء، وتجرأ عليها المبغضون والحاقدون، وطعن فيها الحساد، وحيكت ضدها المكائـد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والدسائس، وقد ذكر شيخ الإسلام أن من أسباب ظهور الفتن والتفرق والاختلاف ترك الهدي، وحدوث البدع[1]، وتمكين أصحاب البدع والأهواء المنحرفة، ودخول غير المسلمين في الدولة الإسلامية[2].

وقد شهد عصر شيخ الإسلام انقسامات كثيرة، وفتناً متعددة، فتتت العالم الإسلامي؛ فالشرق الإسلامي تحت حكم العباسيين، والأندلس تحت حكم الأمويين، وبينهما دويلات ضعيفة، مما شجع الأعداء على غزوها.

ويذكر ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ"، أن المسلمين قد ابتلوا بمصائب سياسية لم يبتلَ بها أحد من الأمم، منها: غزو التتر الذين أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها، والمصيبة الأخرى خروج الإفرنج- لعنهم الله- من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر[3].

ويستفاد من كلام ابن الأثير، أن الأمة الإسلامية قد داهمها الخطر من عدة جهات، منها: التتار والإفرنج، وما خلفوه من دمار وفساد كبير، وهما أخطر عدوين في ذلك العصر، قدم أحدهما من المشرق، والآخر من المغرب، أضف إلى ذلك الخطر الذي شكلته الانقسامات الداخلية، والصراعات بين الدويلات الضعيفة في ظل حكم تسوسه الفتن من مؤامرات ودسائس ومكائد وأطماع[4].

---

١ -انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج١/ص٣.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص٤٨٨.

٣- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥/ ص٣٠٥.

٤- انظر: الزين محمد حسني، منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، ص١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وفي ظل هذه الأحداث المعقدة سياسيًا على الصعيد الداخلي والخارجي، لم يقف ابن تيمية منها مكتوف الأيدي، بل كان له من كل حدث موقف ورأي، يعبِّر فيه عن إنكاره وبغضه لتفرق الأمة وتمزقها وهوانها على عدوها، وعمل على رصّ صفوف المسلمين، وتوحيد كلمتهم، وجمع شملهم بكل ما هو متاح من وسائل وأساليب في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: كالمناظرة، والخطابة، واللقاءات، والرسائل، والتأليف، وغيرها من الوسائل والأساليب التي استخدمها في تغيير واقع الأمة المفكّك والمتفرق، سعيًا للم شملها، وجمع شتاتها وولاتها تحت راية واحدة؛ لمواجهة أعدائها والحاقدين عليها.

وقد وصف ابن كثير قيام ابن تيمية بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودوره البارز فيه، ومواقفه الفريدة المتميزة في الإصلاح والتغيير، في ظل هذه الأحداث الجسام التي يمر بها المجتمع المسلم، بقوله: «وبالجملة أقامه الله- يقصد ابن تيمية- في هذا الوقت المتأخر عونًا ونصرًا للإسلام وأهله، وشجًا في حلوق المارقين من الفرنج والتتار المشركين، وأبطل الخمر، ونفى الفساق من البلاد، وكان لا يرى شيئًا من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته»[1].

وإن تنوع الأحداث وتشعبها السياسي على الصعيد الداخلي والخارجي أكسب ابن تيمية مهارة خاصة، وقدرة فريدة في كيفية التصدي لها، فالتصدي للعدو الخارجي يناسبه وسائل وأساليب قد لا تتناسب مع العدو الداخلي، وإبطال الدسائس والفتن التي تحاك ضد الأمة يحتاج إلى وسائل وأساليب خاصة في كشفها، والتفرق والتمزق كذلك يحتاج إلى

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٢٧٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

جهد كبير لتجاوز ذلك، خاصة في مثل هذه الظروف، والمتابع لسيرة ابن تيمية، وما قدمه للأمة يلحظ ذلك واضحًا في أساليبه ووسائله في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكـــر، وسيتناول الفصل التالي دراسة ذلك وتحليله.

الفرع الثاني: بيئته من الناحية الاجتماعية

إن تنوع المجتمع بأجناسه وأعراقه ومذاهبه وعاداته وتقاليده قد يؤدي إلى تنـــوع الأهداف والمصالح والغايات فيه، ومن ثم اختلافهم؛ فالكل يسعى لتحقيق هدفه وغايتـــه، وكل طائفة تسعى للسيادة والظهور على غيرها، وبذلك يصبح المجتمع مضطربًا ومتفرقًا متفككًا لا يجمعه هدف، ولا غاية مشتركة، وسمة المجتمع الذي عاش فيه ابن تيمية التفكك والفوضى وعدم الاستقرار، وظهور الأمراض الاجتماعية التي لم تكن من قبل، ويعـــود سبب ذلك إلى أن المجتمع زخر بأجناس وأعراق مختلفة منذ اتساع الدولـــة الإســـلامية، وسقوط بعض الدول والممالك التي ضمّت إليها، وما دخل بعد ذلك من طوائف من التتار، ساهم ذلك كله في ظهور الاضطرابات الاجتماعية، وكثرة الأهواء.

ويذكر المقريزي أن مصر والشام قد غصت بطوائف كثيرة من التتار، وانتشرت عاداتهم وطرائقهم بها، بعد أن هُزموا بواقعة عين جالوت؛ فعاش خلق كثير منهم بأرض

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الإسلام، ولُقِّنوا القرآن وأحكام الإسلام، فجمعوا بين الحق والباطل، وضموا الجيد والرديء[1].

وبرزت الطبقية الاجتماعية كأحد الأمراض التي أدت إلى ازدياد الهوة بين طبقة الأمراء والعلماء والعامة[2].

وظهرت المفاسد، وانتشر الانحلال الخلقي والسلوكي، وظهرت المنكرات في المجتمع الإسلامي، فقام ابن تيمية وأصحابه بتكسير آنية الخمور، وشق ظروفها، وإراقة ما فيها، وعزروا جماعات من أهل الحانات بعد أن انتشرت في المدن والقرى، وقد فرح الناس بفعلهم هذا[3].

وقد خطا ابن تيمية خُطًا حثيثة في الإصلاح والتغيير، وإنكار المنكر، وانخرط في المجتمع، ولم ينعزل عنه، ولم يكن انطوائيًا، بل تصدى لمظاهر الانحلال والفساد، فالمجتمع جهات متعددة، وفئات متنوعة، وكلها تحتاج إلى دعوة ومجاهدة وإصلاح، وقد استعمل ما يستطيع استعماله من وسائل وأساليب تناسب كل فئة وجماعة وطبقة، فمنهجه منهج شمولي تربوي يستوعب كافة أفراد المجتمع وجماعاته.

وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه علماء الأمة من الشعور بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم تجاه أمتهم، فالعالم العامل بعلمه لا يمكنه أن يقف مكتوف الأيدي تجاه ما يعصف بمجتمعه من فتن واضطراب، في الوقت الذي أصبح من الضرورة تفعيل دور العلماء

١- انظر: المقريزي، الخطط، ج٢/ص٢٢١.

٢- انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ص٨٦.

٣- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

في ملامستهم لواقع الأمة المتردي، بوسائل وأساليب تربوية عملية مبنيـة علـى العلـم والمعرفة بحال الأمة؛ كي تساهم في تغيير هذا الواقع، ومعالجة الأمـراض الاجتماعيـة المنتشرة، بوضع الدواء على مكمن الداء.

الفرع الثالث: بيئته من الناحية الفكرية

يطغى على عصر ابن تيمية من الناحية الفكرية انتـشار الكثيـر مـن الأفكـار والمعتقدات الباطلة، ويعود سبب ذلك إلى دخول أعداد كبيرة من غيـر المـسلمين فـي الإسلام، مع ما يحملون من أفكار ومعتقدات وتوجهات، سيما من التتـر الـذين دخلـوا الإسلام أفواجًا وجماعات مع كل ما لديهم من معتقدات وأفكار، أضف إلى ذلك الحركـة الفكرية التي قادها الفلاسفة والمتكلمون والرافضة والباطنية والخوارج، وأدى ذلـك إلـى ظهور الكثير من العلوم: كعلم الجدل والمنطق والفلسفة.

وظهر التصوف، واشتد تياره، وحمل في طياته كثيرًا من الانحرافـات: كـالقول بوحدة الوجود، والاتحاد، وظهرت مذاهب وملل ونحل متعددة من الفرق الإسلامية وأهل الذمة وغيرهم.

وقد ابتلي المسلمون بظهور البدع المضللة، وانتشرت بين فئات المجتمع، يقـول ابن تيمية: « فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسـول سـلط الله علـيهم الأعداء، فكان الإيمان بالرسل والجهاد عن دينه سببًا لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والإلحاد ومخالفة ما جاء به سببًا لشر الدنيا والآخرة، فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد سلط الله عليهم الكفار»[1].

وقد استوعب ابن تيمية أفكار هذه المذاهب والفرق والملل والنحل، ودرس معتقداتهم وتوجهاتهم وحججهم، وما يستدلون به من أدلة، ونقد كل قول في كل طائفة، وأبطله بالدليل والبرهان النقلي والعقلي، وواجه كل انحراف عندها، وناضل في سبيل الإصلاح الفكري، وناظر الخصوم، وألّف الكتب، وأجرى المناظرات واللقاءات مع رءوس هذه الطوائف، وكان يركز على نقد المعتقدات والأفكار من غير الطعن بالأشخاص[2].

والحديث عن نقد ابن تيمية للانحرافات العقائدية التي وقعت بها الطوائف والملل والنحل حديث ذو شجون، ولا يتسع المقام لذكره، ولا يخفى على أحد كتب ابن تيمية ورسائله في الرد عليهم، فقد بين موقفه من مختلف الأفكار، وأوضح عقائدهم وأصولهم الفكرية، وذكر أسباب نشأتهم وأهدافهم ودورهم في واقع الأمة، ورد أباطيلهم وافتراءاتهم تارة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارة بالدليل والحجة والبرهان، وتارة بالمناظرة والحوار، وتارة بتأليف كتاب، أو بإرسال رسالة، وكل ذلك في إطار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالوسائل والأساليب المتوفرة والمعروفة في زمانه.

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣/ص ١٧٨.

٢- انظر: مثلاً في كتاب الاستقامة الذي ناقش فيه الرسالة القشيرية لأبي قاسم القشيري، ج١/ص٨٢-١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول الصفدي: « وكان ابن تيمية بحرًا يتموج، وسهمًا ينفذ على السواء لا يتعوج في معرفة الملل والنحل ومقالات أرباب البدع الأول، ومعرفة أرباب المذاهب وما خصوا به من الفتوحات والمواهب»[1].

ومن الملاحظ أن الوسائل والأساليب التي اتبعها ابن تيمية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تميزت بنظرة شمولية لكل هذه الطوائف والفرق، فلم ينصب جهده على نقد طائفة واحدة، ولم يقتصر على التصدي لانحرافات مذهب معين، بل وجه جهده للتصدي لكل المذاهب والفرق المنحرفة، وكان لمعرفته بأصول عقائدهم وأفكارهم وانحرافاتهم قوة في حجته عليهم، وكان شديدًا في إنكار البدع المضللة، والفرق الباطلة، مع التَّلطف في محاورته مع المذاهب القريبة من الحق؛ لإظهار الحق لهم بالوسائل والأساليب المناسبة. وسيتناول المبحث المقبل ضرب الأمثلة على جهوده في مقارعة الملل والنحل والفرق والمذاهب، كما سيتم التركيز فيه على الوسائل والأساليب التي استخدمها ابن تيمية في أثناء مسيرته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١- الصفدي، أعيان النصر وأعوان النصر، ج١/ص٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: أثر أسرة ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في أسرة متدينة عريقة في المعرفة والعلم، شهد لها العلماء بالمكانة العلمية الرفيعة، وجلس في مجالسها العلماء وطلبة العلم، وقصدها القاصي والداني لما عندها من سعة علم، وغزارة معرفة، وقد اتخذت أسرته من العلم مرتكزًا لحياتها، ومنهجًا لسلوكها، وأسلوبًا ووسيلةً في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في دعوتها وإصلاحها للمجتمع الذي عاشت فيه.

والمتابع لسيرة أفراد أسرة ابن تيمية يجد أنهم قدّموا الكثير من أوقاتهم وأموالهم وممتلكاتهم في سبيل طلب العلم، وقدموا الكثير من التضحيات؛ لثباتهم على الحق.

يذكر ابن عبد الهادي أن أفراد هذه الأسرة كانوا يجرون عربة الكتب بأنفسهم؛ لعدم وجود الدواب في حال هربهم من العدو، فإذا تعطلت العربة فلا يتركونها وإن اقترب منهم العدو، فيلجأون إلى الله يستغيثونه، وقد أغاثهم[1]، وقد تعرض كثير من أفراد هذه الأسرة للاضطهاد والحبس والتعذيب لمواقفهم وآرائهم في إنكار المنكر، وعدم الرضا عن واقع الأمة المفكك والمفرق.

وقد كان لأسرة ابن تيمية الأثر البارز في حبه للعلم، وشغفه به، فقد رضع ثدي العلم منذ أن نشأ في كنف أسرته، وقد كان أبوه وجده يشجعانه على طلب العلم، ويحثانه

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

على حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، ويروى أن والده أراد تشجيعه على حفظ القرآن، فاتفق مع معلمه وبدون علمه على أن يعطيه أربعين درهمًا في كل شهر إذا لم ينقطع عن تعلم القرآن، فلما أعطاه معلم القرآن الأربعين درهمًا، قال ابن تيمية: يا سيدي إني عاهدت الله ألا آخذ على القرآن أجرًا ولم يأخذها، فقال معلمه: فرأيت أن هذا لا يقع من صبي إلا لما لله فيه من عناية[١].

وقد توفي والده وهو شاب، فولي مشيخة الحديث بدار الحديث السكرية التي كان أبوه يرأسها، فقد ورث العلم ومجالسه من والده، بعد أن برع وتميز فيه[٢].

وقد سبق استقراء عدد من شهادات العلماء لأفراد أسرة ابن تيمية بسعة العلم، وغزارة المعرفة، فقد وصف مرعي بن يوسف الحنبلي تاريخ هذه الأسرة العريقة بالعلم والمعرفة بقوله: « على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور، ونشأت منه عظماء على المشاهير الشهور، فأحيا معالم بيته القديم إذ درس، وجَنَى من فننه الرطيب ما غرس، وأصبح في فضله آية»[٣].

وفي هذه الأسرة نشأ وتربى شيخ الإسلام، وتأثر بوالده وجده وإخوته، وبمجالس العلم التي كان جده وأبوه يرأسانها، وشاهد مناظرات العلماء، وحوارات الفقهاء، وجدال الخصوم، ومبارزة أهل الأصول، وتنافس علماء التفسير، وتسابق طلبة العلم في حفظ كتب المتون والحديث، وجلس مصغيًا مستمعًا، ومتعلمًا وناهلاً ومرتويًا من أنهار العلم،

١- انظر: عمر بن علي البزار، الأعلام العلية، ص٤٤-٤٥.

٢- انظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ص٣٣٨.

٣- مرعي الحنبلي، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، ص ٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وبساتين المعرفة، يقطف من ثمارها اليانعة، وأشجارها المتنوعة الزاهرة، وقد أكسبه ذلك قدرة فريدة، بل نادرة، نجدها متجسدة في جهاده وصبره وجلده في الأمـــر بـــالمعروف، والنهي عن المنكر بأساليب ووسائل متنوعة، من خطابة ومناظرة ورسالة وفتوى وحوار ولقاء ومؤلف، ومجادلة بالحجة والدليل ونحو ذلك، وجعل من ذلك أساسًـــا فـــي دعوتـــه وإصلاحه، متأثرًا بما سمعه وشاهده وعايشه، ومبلغًا وناشرًا لما تعلمه من علم، وما حمله وورثه من مجالس أبيه وجده وأسرته- رحمهم الله جميعًا.

وبعد، فلا يخفى أن للأسرة أثرًا تربويًا كبيرًا في تكون شخصية الفـــرد وصـــقلها حتى يكتمل بناؤها، فإذا بلغ تمامه بدأ بالعطاء غير المحدود، وأنتج الثمار التي لا تنقطـــع بذورها، وكلما سقيت بالماء عادت من جديد حية تحيا بها القلوب، ككتـــب ابـــن تيميـــة، وميراثه العلمي الذي تناقلته الأمة جيلاً بعد جيل.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث: أثر فقه ابن تيمية في وسائله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لم يكن التعصب سمة في نهج ابن تيمية، فهو وإن عاش في أسرة تعتنق المذهب الحنبلي أصولاً وفروعًا[1]، لم يكن اختياره لهذا عن هوى وتعصب، بل كان سبب اختياره له ما أداه إليه اجتهاده من أنه أقرب المذاهب للكتاب والسنة، فيقول رحمه الله: «أحمد كان أعلم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصًا كما يوجد لغيره، ولا يوجد في مذهبه قول ضعيف إلا وفي مذهبه قول يوافق القول الأقوى، وأكثر مفاريده التي لم يختلف فيها يكون قوله فيها راجحًا»[2].

فقد رأى- رحمه الله- أن منهج الحنابلة في الاستدلال هو أقوى المناهج؛ لأنه يعتمد على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وكبار التابعين، سواء كان في العقيدة أو الفقه، فقد خط لنفسه منهجًا قائمًا على استقراء النصوص، ومتابعة السلف، واعتماد الدليل المستقى من ذلك، فاتفق مع منهج الحنابلة في كثير من الأحيان، وإن أداه اجتهاده إلى المخالفة أحيانًا، يقول الذهبي: «وقد انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فالله يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله، وكل أحد من الأمة يؤخذ من قوله ويترك»[3].

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢١.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٠/٢٢٩.

٣- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤/ص١٤٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولم يقتصر على دارسة المذهب الحنبلي، بل انطلق لدراسة المـذاهب الأخـرى، فاستوعب أقوالها وأقوال السلف، فكان بصيرًا مُلمًا بالمذاهب أصولاً وفروعًا، واسـتطاع أن يهضمها، ويبرع في مجادلة أتباعها، يقول الذهبي مخبرًا عنه: «وله باع طويلة فـي معرفة أقوال السلف، وقلّ أن تذكر مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأئمة، وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل صنّف فيها، واحتج لها بالكتاب والسنة. وقال: «وأما نقلـه للفقـه ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له نظير»[1].

وقد أكسبه ذلك شخصية مستقلة بعيدة عن التعصب والجمود والتقليد، فقـد أفتـى بفتاوى لم يلتزم فيها بمذهب، يقول الذهبي: «وأقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معين»[2].

فتفرد أسلوبه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بمرونة قل نظيرها، بعيدًا عن التعصب المذهبي، والجمود الفكري، في الوقت الذي تميز قوله بقوة الـدليل، فكـان رحمه الله آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بمنهج خطّه لنفسه بعيـدًا عـن الإفـراط أو التفريط، متأثرًا بأصول مذهبه الحنبلي من غير أن يؤثر ذلك على اتباعه للحق أينما وجد.

١- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص١٨٥.

٢- المرجع السابق، ص١٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني: أهم وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ابن تيمية.

وفيـه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الاتصال الشخصـــي.

المطلب الثاني: الخطابـــــــة.

المطلب الثالث: الدروس العلميـــة.

المطلب الرابع: مجالس الإفتـــاء.

المطلب الخامس: المناظـــــرة.

المطلب السادس: الكتابـة والتأليـف.

المطلب السابع: الرسائل الشخصيـــة.

المطلب الثامن: الحسبـــــــة.

المطلب التاسع: الرحـــــــلات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تمهيد:

إن لكل دعوة جانبين؛ جانب المعاني والمضامين، وهو الذي يشمل قضايا الدعوة ومبادئها ومقاصدها وأهدافها، وجانب الوسائل التي تصاغ فيها هذه المعاني والمضامين.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل جانب المعاني والمضامين التي تحمل الكثير من المعاني السامية، والأهداف النبيلة، والمقاصد الحسنة، ولا يمكن لهذه المعاني والمضامين أن تؤتي ثمارها إلا باستخدام الوسائل والأساليب التي تتناسب مع حال المأمور بالمعروف، والمنهي عن المنكر، وهو ما يمثل الجانب الثاني، أي الوسائل التي تصاغ فيها معاني المعروف والمنكر ومضامينهما.

حيث يجب على الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر اختيار الوسيلة التي تحقق الغاية من الأمر والنهي، فنجاحه في دعوته متوقف على حسن اختياره للوسيلة المناسبة في ذلك، وهذا يفسر نجاح بعض الدعاة في أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، من حيث التأثير على مشاعر مَن يوجهون إليه الأمر والنهي بالطريقة اللائقة، والحكمة الرفيعة التي تصل إلى القلب والعقل، والتأثير في السلوك بفعل المعروف، وترك المنكر، ويمثل ابن تيمية نموذجًا مميزًا في هذا المجال، فيرى- رحمه الله- أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لابد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما المقصود والمراد، والثاني الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود[1].

---

١ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص١٦٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ويدل لفظ الوسيلة في اللغة على ما يتوصل به إلى الشيء، ويُقرب منه، وجمعها وسائل[١]، وقد عرفها الجرجاني والجوهري بأنها ما يتقرب به إلى الغير[٢]، ويستفاد من هذه التعريفات اللغوية المتقاربة، أن الوسيلة عبارة عن أداة أو طريقة تستخدم لنيل المقصود، أو للتقرب من الغير.

وقد ورد لفظ الوسيلة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣]، فعرفها القرطبي تعريفًا اصطلاحيًا بأنها: «القربة التي ينبغي أن يطلب بها»[٤]، وعرفها ابن كثير بقوله: «هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود»[٥]، وأما ابن تيمية فيرى أن الوسيلة: «الطريق الموصل إلى المقصود»[٦].

وعرفها شوقي عبد اللطيف بقوله: «هي مجموعة الطرق المحببة والمرغوب فيها لدى الدعاة للاتصال بالمدعوين، والتأثير عليهم وتوجيههم»[٧].

١- انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١/ص٧٢٥، وأبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر، ج٥/ص٤٠٢، والفيومي، المصباح المنير، ج٢/ص٦٦٠، والرازي، مختار الصحاح، ج١/ص٣٠٠، والمناوي، التعاريف، ج١/ص٧٢٦.

٢- انظر: الجرجاني، التعريفات، ص٣٢٦، والجوهري، الصحاح، ج٥/ص١٨٤١.

٣- سورة المائدة: آية ٣٥.

٤- القرطبي، تفسير القرطبي، ج٦/ص١٥٩.

٥- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٢/ص٥٤.

٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ص١٦٢.

٧- شوقي عبد اللطيف، وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، ص٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقيل: الوسيلة هي كل ما يتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو[1].

وقيل: هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو[2]، وقيل: الوسيلة في الدعوة، أو الاتصال الدعوي هي: القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس[3].

والمتأمل في التعريفات السابقة يلحظ التقارب الواضح بين المعنى الاصطلاحي واللغوي للوسيلة من جانب، والمعاني التي ساقها بعض العلماء للوسيلة من جانب آخر، فهي في مجملها لا تخرج عن كون الوسيلة طريقًا، أو قناة، أو أداة تستخدم للوصول إلى المقصود أو الغاية.

التعريف المختار: بعد النظر والتأمل في التعريفات اللغوية والاصطلاحية للوسيلة يحسن أن نقول: إن **الوسيلة الدعوية هي الطريقة أو الطرق التي نوصل من خلالها المعاني والمضامين إلى المدعوين**، فالوسيلة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هي الأداة أو الطريقة التي نوصل من خلالها معاني ومضامين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ويطلق لفظ الوسائل في عصرنا الحاضر على الأعيان والآلات التي تستخدم في الوصول إلى مقاصد متعددة كوسائل الإعلام، ووسائل الطب ونحوه، وهي بهذا المعنى تعد مجالاً واسعًا، وميدانًا منتشرًا لكثرة الوسائل، وتنوعها، وتجددها عبر العصور، وهي

١- انظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص٤٢٩.

٢- انظر: أبو المجد السيد نوفل، الدعوة إلى الله، ص ١٨٩.

٣- انظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، ص ٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بهذا المعنى لها دور عميق، وأثر فعّال في النفس البشرية، والمجتمع الإنساني، ولهذا كان الاهتمام بها علامة وعي، وأمارة فطنة[١].

وقد يسأل سائل عن الفرق بين الأسلوب والوسيلة: هل هما شيء واحد، أم بينهما تباين؟ وهل الأسلوب يشمل الوسيلة، أم الوسيلة تشمل الأسلوب؟

وللجواب عن هذا التساؤل لابد من النظر في تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح؛ فهو في اللغة: الطريق، وجمعه: أساليب[٢]، وما يهمنا من هذه المعاني هو تعريف الأسلوب بأنه الطريق، فيقال: سلكت أسلوب فلان في كذا، أي طريقته ومذهبه.

وأما الأسلوب في المعنى الاصطلاحي، فهو الفن، فأساليب الدعوة هي فنون الدعوة، وهو الشكل الذي يتم فيه الأداء[٣]، وعُرِّف بأنه: طريقة التعبير، أو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني، أو الضرب من النظم، والطريقة فيه[٤].

والفرق بين الأسلوب والوسيلة هو أن الوسيلة عبارة عن وعاء يكون ماديًا محسوسًا يحتوي على أساليب؛ وأحيانًا يكون غير محسوس(أي معنوي)، فالخطبة وسيلة، وما يستخدم في الخطبة من ترغيب وترهيب وطباق وجناس ونحو ذلك هي أساليب، والمناظرة وسيلة، وما يستخدم في المناظرة من جدال ونقاش وحوار هي أساليب،

١- انظر: مصطفى بن كرامة الله مخدوم، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص٥٨.

٢- انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١/ص١٢٥، وإبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١/ص٤٤١.

٣- انظر: علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، ص١٦.

٤- انظر: أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والرسائل وسيلة، وما تحويه من طرق للكتابة هي أساليب، بينما التلفاز والإنترنت والصحف والمجلات ونحو ذلك وسائل مادية، وما يستخدم فيها هو أساليب تعرض بطرق متعددة.

المطلب الأول: الاتصال الشخصي

يعدّ اتصال الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالبيئة المحيطة به، والمجتمع الذي يعيش فيه، والأفراد الذين من حوله، من أهم أسباب تحقيق القبول لهذا الآمر أو الناهي، فبهذا الانخراط في المجتمع والاندماج فيه يتعرف على فئاته وطبقاته وأجناسه ومذاهبه، ويتصل بأفراده علمائهم وعامتهم، وأغنيائهم وفقرائهم، وكبارهم وصغارهم، ويطّلع على ظروف المجتمع وأحواله ومشاكله، فهو غير منعزل عنه، أو غريب فيه، أو بعيد عن مشاكله، كما أن من أهم عوامل نجاح الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أن يكون عضوًا فعالاً في مجتمعه، فيشارك أفراده آلامهم وهمومهم، وآمالهم وأحلامهم، ومشاعرهم وأحاسيسهم، ويوجههم في السراء والضراء، ويرشدهم إلى الخير والصلاح، وينهاهم عن الانحراف والضلال، مع إخلاص النية، ومحاسبة النفس، وعدم الغفلة عنها؛ حتى لا تتأثر بما يصيب المجتمع من بعض أمراض السلوك والمعتقدات على كثرة المخالطة، وهذا ما

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وجّه إليه المصطفى في قوله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[1].

والحقيقة أن اتصال الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر بالناس، ولقاءه بهم، أدعى للقبول في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالذي يكون قريبًا من مجتمعه لا شك أنه يكون خبيرًا بما يصلح له من وسائل، تساهم في علاج بعض الأمراض، التي قد يصعب علاجها بسبب عدم معرفة الطريقة السليمة، والأسلوب الأمثل الذي يُوصل إلى أفهامهم وقلوبهم، فمن يعايش مجتمعه يكون أفضل معالج وطبيب في وصف الدواء؛ لأنه عرف الداء عن قرب، بل يكون على معرفة تامة بأسباب انتشاره، ولذلك يسهل عليه استئصاله.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية متصلاً بأفراد مجتمعه مسلمهم وكافرهم، حكامهم ومحكوميهم، وعلمائهم وعامتهم، فاندمج في مجتمعه، وتعرف على أفكارهم وتوجهاتهم ومشاكلهم ومخالفاتهم، وانحرافات بعضهم، وقد دلت الوقائع والآثار التي رويت عنه، وأقواله المدونة في كتبه ومؤلفاته، أنه كان يعقد اللقاءات العديدة المتكررة مع الحكام والأمراء، فيأمرهم بتقوى الله وطاعته، والعدل بين الناس، وينهاهم عن الظلم والعدوان

١- البيهقي، السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر على أذاهم، حديث رقم (١٩٩٦١)، ج١٠/ ص ٨٩. قال الألباني: (حديث صحيح). (الألباني، الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (١١٥٩٧)، ج١/ ص ١١٦٠). وفي رواية الترمذي قال: عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ، أراه عن النبي ﷺ قال: المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم. قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابن عمر. (الترمذي، سنن الترمذي، (٤ / ٦٠٩)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٥٠٧)، ج٤/ ص٢٤٣).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومحاربة أهل الفساد والطغيان، ومساندة الضعفاء والمساكين، ويلتقي بالعلماء، فيناقشهم ويحاورهم، ويلتقي بالفرق والطوائف فيناظرهم ويجادلهم، ويلتقي بعامة أفراد مجتمعه فيرشدهم ويوجههم، ويواجه الأعداء فيجاهدهم، أو يدفعهم، حتى قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: «إنه كان رباني الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، صاحب معضلات المسلمين»[1].

ولا يسع المقام لاستقراء لقاءات ابن تيمية بالملوك والأمراء والعلماء والخصوم والعامة؛ لكثرتها وتعددها، وقد أخذت حيزًا وافرًا في كتب التراجم والتاريخ، ويكفي الإشارة إلى بعض تلك المواقف للتدليل على مدى تواصل شيخ الإسلام مع البيئة المحيطة به، واهتمامه بقضايا أمته ومجتمعه الذي عاش فيه، وانشغاله بنشر الخير والصلاح فيه، والوقوف في وجه الفساد والمفسدين، وهو ما يجب أن يكون عليه العلماء والدعاة.

والملاحظ على لقاءات شيخ الإسلام واجتماعاته تنوعها من حيث عدم اقتصاره على فئة معينة دون فئة، بل كان له لقاءات فريدة ومفيدة مع الحكام والعلماء والعسكر، وأصحاب الفرق والطوائف والعامة، سطرها أهل التراجم والتاريخ في كتبهم؛ لأهميتها، وكثرة منافعها وفوائدها، وكان له لقاءات نافعة مع غير المسلمين يدعوهم فيها إلى الإسلام، مبينًا لهم جوهره الثمين، وحقيقة دعوة التوحيد، مفندًا شبهات المبطلين، ورادًّا كيد الحاقدين عن شريعة رب العالمين الغراء، ومبادئها السامية، وقد أسلم على يديه العديد من النصارى واليهود وغيرهم.

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٠، ومرعي بن يوسف الحنبلي، الرسالة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، ص٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أولاً- نماذج من لقاءات ابن تيمية مع الملوك والحكام:

فمن لقاءات شيخ الإسلام الشهيرة بالملوك، مقابلته مع قازان ملك التتار، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضٍ وإمامٌ وشيخ على ما بلغنا؛ فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت.

وليس ذلك فحسب، بل قرب إلى الجماعة طعامًا فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس.

وقد طلب قازان من ابن تيمية أن يدعو، فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام وأهله؛ فأخذله وزلزله ودمره وأقطع دبره، قال: وقازان يُؤمّن على دعائه، ويرفع يديه[1].

ومما يلفت النظر في هذا الموقف التربوي الرائع لابن تيمية: شجاعته وجرأته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حيث لم يخفْ في الله لومة لائم، وهو ما يجب أن يكون عليه الآمر والناهي في أمره ونهيه، فلا يكون مترددًا خائفًا، بل يقول الحق، ولا

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص١٠٢، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥٢/ ص٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يخشَ إلا الله ﷻ. كما وصف ابن كثير ابن تيمية في لقائه هذا[1]، ويتبين في هذا الموقف مدى تأثر قازان بابن تيمية، واستماعه إليه، وإصغاؤه له؛ لما رأى منه من الشجاعة والجرأة في الحق، وفصاحة اللسان، والإخلاص وصدق النية عندما استنكف عن الطعام، ورفض أن يأكل منه، كما سبق، وهذا من أروع المواقف التربوية من هذا العالم الرباني الذي تعلق قلبه بالله تعالى، وتعظيم أمره، فهان عليه من سواه وإن كان أعتى ملوك الأرض، وأشدهم خطرًا.

وهو موقف يتعلم منه العلماء قبل طلبة العلم، فلا يطيل في العمر والرزق السكوت عن الحق، ولا يقرب الأجل الصدع بالحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلا نامت أعين الجبناء! الذين يرون المنكرات تزداد يومًا بعد يوم وكأن الأمر لا يعنيهم، فلا نطمع أن يوجد في زماننا أمثال ابن تيمية، ولكن نطمع أن يوجد من يقول الكلمة ولو على سبيل﴿ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾[2]، مع كثرة الوسائل في عصرنا وتنوعها، وتشوق عامة الأمة للكلمة الطيبة، والنصيحة من علمائها بعدما قلّ قائلها.

وهذا الموقف يمثل أفضل مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأعلاها قدرًا، وأعظمها أجرًا، وإن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر في مثل هذا الموقف ينال إحدى الحسنيين: إما طاعة السلطان له، وما في ذلك من الأجر العظيم، لما سيعم من

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص١٠٢.

٢- سورة الأعراف: آية ١٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

هذا الخير للأمة، وإما قتله، وهو أعظم درجات الشهادة في سبيل الله؛ لقوله ﷺ : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[1].

وهناك لقاء آخر أكثر وضوحًا على شجاعة شيخ الإسلام، وجرأته وفطنته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو لقاؤه بالملك الناصر، والوزير الخليلي، عندما تكلم الأخير في شأن إعادة أهل الذمة إلى لباس العمائم البيض بالعلائم، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مائة ألف في كل سنة زيادة على الحالية، فسكت الناس، وكان فيهم قضاة مصر والشام، وكبار العلماء من أهل مصر والشام، ومن جملتهم ابن الزملكاني، قال ابن القلانسي: وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكاني، فلم يتكلم أحد من العلماء، ولا من القضاة، فقال لهم السلطان: ما تقولون؟ يستفتيهم في ذلك، فلم يتكلم أحد، فجثا الشيخ تقي الدين على ركبتيه، وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ورد على الوزير ما قاله ردًا عنيفًا، وجعل يرفع صوته والسلطان يتلافاه ويسكته بترفق وتؤدة وتوقير، وبالغ الشيخ في الكلام، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، وبالغ في التشنيع على من يوافق في ذلك، وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك

١- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب، حديث رقم (٤٨٨٤)، ج٣/ ص٢١٥، قال المنذري: "رواه الترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد". (المنذري، الترغيب والترهيب، كتاب الحدود وغيرها، الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترهيب من تركهما والمداهنة فيهما، حديث رقم (٣٤٨٣)، ج٣/ ص١٥٨. قال الألباني: (حسن). (الألباني، الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٥٩٨٨)، ج١/ص ٥٩٩).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك، وكبت عدوك، ونصرك على أعدائك[1].

وفي هذه المواقف لم يمارِ شيخ الإسلام ولم يداهنْ، ولم يحابِ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي قول الحق دون خوف أو تردد، ويستفاد من هذا الموقف درس تربوي مهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو ما يجب أن يكون عليه الآمر والناهي من قوة القلب، وثقة بالنفس، ورباطة الجأش، وفصاحة اللسان، وسرعة البديهة، وقوة الحجة، حتى يشعر المأمور بفضل المعروف ومكانته وأهميته، فيبادر لفعله، ويشعر المنهي بفحش المنكر وقبحه، فيسارع لتركه، وكل ذلك إنما يكون برضًا قلبي، واقتناع عقلي.

وفي هذه المواقف وغيرها لم يكن هدف شيخ الإسلام وغايته إلا فعل الخير، ونشر الفضيلة، ومحاربة المنكرات، والنصح لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما جاء في الحديث[2]، وقد كان من مواقفه اهتمامه البالغ بتقوية عزيمة الملوك والأمراء على مواجهة الأعداء، والوقوف في وجههم، ففي أواخر سنة ٧٠٤ هـ، وأوائل سنة ٧٠٥هـ بعد موقعة شقحب، عمل عددًا من الاتصالات بولاة الأمر في مصر ودمشق، وأقنعهم بأهمية القضاء على الذين في بلاد الجرد والرفض والتيامنة؛ قال ابن عبد الهادي يروي كلام الأمير الحاجب في ثمرات هذه الاتصالات: حتى جرد الله ﷻ عزمات نفوس

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٥٤.

٢ - ونص الحديث هو: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ. (أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٩٥)، ج١/ ص ٧٤).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولاة الأمر لقتال أهل جبل كسروان، وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا الناس، وعارضوا المارين بهم من الجيش بكل سوء، فقام الشيخ في ذلك أتم القيام، فأذن لهم السلطان بالقتال، فسار ابن تيمية في طائفة من الجيش، ثم لحق بهم نائب السلطنة الأفرم بنفسه، وتحقق لهم النصر بإذنه ﷻ، وحصل خير كثير[1].

ثانيًا- نماذج من لقاءات ابن تيمية بالعلماء:

ومن لقاءاته مع العلماء ما جرى بينه وبين أبي حيان، وما دار بينهما في شأن سيبويه، حيث انتقد ابن تيمية كتاب سيبويه، فنافره أبو حيان وقطعه، وصير ذلك ذنبًا لا يغفر، وقد سئل عن السبب، فقال: ناظرته في شيء من العربية، فذكرت له كلام سيبويه، فقال: ما كان سيبويه نبي النحو ولا كان معصومًا، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعًا[2].

وفي هذا الموقف عبّر شيخ الإسلام عن رأيه في كتاب سيبويه، وهو موقف تربوي لطلبة العلم بالتجرد والإخلاص والموضوعية وعدم المجاملة، بل قول الحق بكل حرية، إلا أن هذا الموقف لم يرُقْ لأبي حيان، فقاطعه، وذكره في تفسيره البحر بكل سوء، وكذلك في مختصره النهر، في الوقت الذي شهد فيه العلماء لابن تيمية بسلامة الصدر، وحسن النية في لقاءاته واجتماعاته بالعلماء، وقد كان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول:

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٣١.

٢- انظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ص٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

«ما رأينا مثل ابن تيمية حرّضنا عليه، فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا، وحاجج عنا»[1].

ويقول ابن الوردي: «وبدعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن، ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أدى إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، وجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية.. كان معظمًا لحرمات الله، دائم الابتهال، كثير الاستعانة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يديمها، وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء والجند والأمراء والتجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، بشجاعته تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال»[2].

ثالثًا- نماذج من لقاءات شيخ الإسلام بالعامة:

وكان من علو همته[3]- رحمه الله- أنه لا يدع فرصة من الفرص التي تهيئ له الاجتماع بالناس، والاتصال بهم، إلا وسعى لإفادتهم وتوجيههم، وإيصال الخير إليهم، فمن ذلك أن الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ قد عمل وليمة في بستان له في دمشق، فكان وجود ابن تيمية فرصة في هذا الجمع؛ ليتمكن من إفادتهم، وإيصال الخير إليهم، وكان من

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٥٤.

٢- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢/ص٢٧٨.

٣- شهد الشيخ عماد الدين الواسطي لشيخ الإسلام بعلو الهمة في قوله: "فوالله، ثم والله، ثم والله، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علمًا وعملاً وحالاً وخلقًا واتباعًا وكرمًا وحلمًا وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفًا، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد ﷺ، ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة. (انظر: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب، ج٦/ص٨٣).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحاضرين الشيخ ابن عبد الهادي، وقد قرأ عليه أربعين حديثًا، ثم بعد ذلك أخذ ابن تيمية يتكلم في أنواع العلوم بكلام بُهت الحاضرون منه، حتى أذهلهم عن الأكل، وحصل في ذلك المجلس خير كثير، وكان فيه غير واحد من المشايخ[1].

ومن ذلك أنه لمّا سجن في مصر بسبب الصوفية كان يستفتى، ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة، ثم عُقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهارًا[2].

ونستخلص من هذين الموقفين فائدة مهمة، وهي ضرورة أن يستفيد الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر من اجتماع الناس في الأماكن العامة: كالأسواق والجامعات والنوادي، والتواصل معهم في أفراحهم وأحزانهم، فإذا رأى منكرًا نهى عنه، وإذا رأى معروفًا تُرِكَ أمر به، كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما أمر الله ﷻ.

رابعًا- نماذج من لقاءات شيخ الإسلام بالأعداء والخصوم:

وأما مواجهاته ولقاءاته بالأعداء والخصوم فكثيرة، ومنها أنه خرج إلى مولاي، وهو من أمراء التتر، واجتمع به في فكاك من كان معه من أسرى المسلمين، فاستنقذ كثيرًا منهم من أيديهم[3]، والعجيب في هذا الموقف أن أعيان دمشق ذهبوا إلى مولاي هذا

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٤٣.

٢- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٥٢.

٣- انظر: المرجع السابق، ج١٤/ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لذات الطلب، إلا أنهم عادوا بأسوأ حال، وهنا نلمح مدى قدرة شيخ الإسلام على الإقناع، وكسب ود الآخر واحترامه وتقديره؛ لما وهبه الله من هيبة، وقوة حجة، وجرأة في الحق، ومواهب فريدة في شخصيته: كفصاحة اللسان، وحدة الذكاء، وسرعة البديهة، ومن امتلك مثل هذه الصفات كان أقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وكان رحمه الله حريصًا كل الحرص على الاجتماع بالفرق الضالة واستتابتها، فقد ركب هو وجماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين، ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، فاستتابوا خلقًا منهم، وألزموهم بشرائع الإسلام، ورجع مؤيدًا منصورًا[1].

خامسًا- نماذج من لقاءات شيخ الإسلام مع غير المسلمين:

وأما مع غير المسلمين فله لقاءات فريدة مع اليهود والنصارى وغيرهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام[2]، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وله قصة مشهورة عرفت بواقعة عساف النصراني، وكان هذا الرجل من أهل السويداء، وقد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ، وقد استجار، فاجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي، شيخ دار الحديث، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي، نائب السلطنة، فكلماه في أمره، فأجابهما إلى ذلك، وأرسل ليُحضره، فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٣٥.

٢- أسلم على يدي شيخ الإسلام عدد من النصارى واليهود، عندما كان يلاقيهم ويجتمع بهم، ويجادلهم بالحجة والموعظة الحسنة، فأسلم على يديه بهاء الدين عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحال؛ لما بيّن له بطلان دينهم وما هم عليه، وما بدلوه من كتابهم، وحرفوه من الكلم عن مواضعه. (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص١٤/ص٧٩).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

من الناس، فرأى الناس عسافًا حين قدِم ومعه رجل من العرب، فسبُّوه وشتموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم- يعني النصراني- فرجمهما الناس بالحجارة، وأصابت عسافًا، ووقعت خبطة قوية، فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضربهما بين يديه، ورسم عليهما في العذراوية، وقدم النصراني فأسلم، وعقد مجلس بسببه، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة، فحقن دمه، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريبًا من مدينة رسول الله ﷺ، قتله ابن أخيه هنالك، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة كتابه « الصارم المسلول على ساب الرسول»[1].

وفي هذه الواقعة نلمس مدى اندماج ابن تيمية بقضايا مجتمعه، ومدى صلته بها، فلم يكن مجرد فرد من الأفراد في مواجهة ما يهمُّ المجتمع، بل كان قائدًا يواجه القضايا بشجاعة وصبر وثبات، ويصبر على ما يحصل له من حبس وإيذاء في سبيل القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومما يلفت النظر في هذه الحادثة مدى طاعة ابن تيمية لولي الأمر، وعدم خروجه عليه مع ما لاقاه من الضرب والحبس من الحاكم، في الوقت الذي لم يذنب فيه شيخ الإسلام، وكان ما قام به دفاعًا عن عرض النبي ﷺ، وهذا يدل على التوازن في شخصية ابن تيمية مع الحكام والولاة، بين الشدة والهدوء والطاعة، وعدم الإفراط أو التفريط، وهذه رسالة لشباب الأمة في وجوب طاعة ولي الأمر، وتحمل زلات بعض الحكام وجورهم وقسوتهم على الرعية؛ قطعًا لدابر الفتن التي تحصل في عدم طاعة الحاكم.

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٣٩٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ويلفت الانتباه أيضًا إلى اعتدال ووسطية منهج ابن تيمية، فمع مكانته في الأمة، إلا أنه كان وقافًا عند حدود الشريعة، لم ينتصر لنفسه، ولم تأخذه العزة بالإثم، فلم يكفر الحاكم، ولم يتهمه بموالاة النصراني، ولم يذكر عنه أي موقف ضد هذا الحاكم مع قسوته وإهانته للعلماء. كل ذلك لعلم ابن تيمية- رحمه الله- بما يجره ذلك على الأمة.

ويتبين لنا من جميع ما سبق، أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن معزولاً عن البيئة المحيطة حوله، وإنما كان عضوًا فاعلاً في مجتمعه، ذا همة عالية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان للقاءاته الأثر البارز في كسب القلوب، وإقبال الناس عليه، ويصف ابن كثير ذلك، فيقول: «وعاد إلى بث العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه، ورحلوا إليه يشتغلون عليه، ويستفتونه، ويجيبهم بالكتابة والقول»[1].

المطلب الثاني: الخطابة

كان للخطابة في الإسلام- وما زال- أعظم الأثر في الدفاع عن دين الله تعالى وشريعته، وفي الدعوة إليه، وبيان حقيقته، وإزالة الشبهات عنه، فما معنى الخطابة؟ وما أنواعها؟ وكيف أفاد منها ابن تيمية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟

تعددت تعريفات العلماء للخطابة بما لا يدع مجالاً لسوقها في هذا المطلب لكثرتها، إلا أنها في مجملها لا تتباعد في الدلالة على كون الخطابة فن الإقناع والاستمالة، مما

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يعني أنها تتعامل مع العقل والعاطفة، مع تركيزها على العاطفة بصورة واضحة، كما أنها اتصال في اتجاه واحد، يقوم به الخطيب لتوصيل معلومات أو مفاهيم معينة لجمهور المسلمين، والخطابة هي فن إيصال خبر، أو فكرة ما لمجموعة من السامعين على نحو مقنع ومؤثر، وهكذا نجد أن الإقناع والتأثير هما غاية الخطابة، ومحورها الرئيس[1]، فالخطابة هي فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.

تكمن أهمية الخطابة في كونها جزءًا لا يتجزأ من كيان الأمة الشامخ، ولسانها الناطق، وحبر قلمها السيال، وحركات بنانها الحثيثة، لها شأن جليل، ومقصد نبيل، وأثر ليس بالقليل، هي منبر الواعظ، ومتَّكأ الناهض، وسلوان من هو على دينه كالقابض، لا تُعرف وسيلة في الدعوة أقرب إلى التأثير منها[2]، وكما يقول ابن سينا: «وحسبها شرفًا أنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين، ومن شاكلهم من العلماء العاملين»[3].

وإذا كان الغرض من الخطابة هو الإقناع واستمالة القلوب[4]، فهذا يتطلب بالضرورة امتلاك الخطيب لمجموعة من المقومات والمؤهلات المميزة لتحقيق هذا الغرض من الفصاحة والبلاغة والبيان، وكان شيخ الإسلام- رحمه الله- متكلمًا فصيحًا بليغًا، إذا تكلم كأنما يغرف من بحر، وكأن العلوم والمعارف بين يديه يختار منها ما يشاء، وله قدرة متميزة باهرة في استحضار النصوص الشرعية، وأقوال العلماء والحكماء.

١- انظر: محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢/ ص٦٦، ج٣/ص٥٥، ج١٢/ص٢٢٢، ج١٣/ص٤٩.

٢- انظر: سعود الشريم، الشامل في فقه الخطيب والخطبة، ج١/ص١.

٣- ابن سينا، المنطق، ج٢/ص١٥٢.

٤- انظر: المرجع السابق.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالقدرة العلمية والبيانية، والشجاعة ورباطة الجأش، والشخصية المهيبة الجذابة، والصوت القوي المدوي، إضافة إلى حسن الخلق، والبشاشة والحكمة تعد من أهم عوامل نجاح ابن تيمية في هذه الوسيلة، يقول ابن تغري بردي: «وكان عارفًا باللغة والنحو[1]»، ويقول ابن عبد الهادي: «.. لكلامه صولةٌ على القلوب، وتأثيرًا في النفوس، وهيبةٌ مقبولة، ونفعًا يظهر أثره، وتنفعل له النفوس التي سمعته أيامًا كثيرة بعقبه، حتى كان مقاله بلسان حاله، وحاله ظاهر له في مقاله، شهدتُ ذلك منه غير مرة»[2].

وقد وُفّق الله الشيخ- رحمه الله- أعظم توفيق في الإفادة من موهبة الخطابة التي أحسن استخدامها في دعوته، فما ترك سبيلاً يستطيع أن يخدم به أمته إلا وطرق بابه، سواء في خطب الجمعة بمسجده، أو الخطب الحماسية التي يشجع فيها المسلمين، ويحثهم على الصبر في قتال أعدائهم، كل ذلك كان في قوة وثبات ورباطة جأش، مما كان له الأثر الطيب والفعال في نفوس المسلمين.

أولاً- الخطب الجهادية:

ومن ذلك ما يذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" في سنة ٧٠٠ هـ، في أول شهر صفر، حين وردت الأخبار بأن التتر يريدون بلاد الشام، والتوجه إلى مصر، فخاف الناس وانزعجوا، وبلغت القلوب الحناجر، وأخذوا في الهروب إلى مصر والكرم والشوبك والحصون المنيعة يحتمون بها من العدو، فلم يصبر شيخ الإسلام رجل الملمات والمهمات الصعبة حينما رأى الأمراء والفقهاء والقضاة وأعيان التجار يسابقون العامة في الخروج

١- ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج١/ص٦٨.

٢- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

من دمشق، فجلس- رحمه الله- في مجلسه في الجامع بدمشق خطيبًا يحرض المؤمنين على القتال، ويسوق لهم الآيات والأحاديث الواردة في فضل الجهاد، ومنزلة المجاهدين والشهداء، ونصر الله للمؤمنين، وولايته ومعيته لهم، ويقص عليهم من حوادث السلف وأفعالهم، وينهى عن الإسراع في الفرار، ويرغب في إنفاق الأموال في الذبّ والدفاع عن المسلمين وبلادهم وأموالهم.

وقال لهم: إن ما تنفقونه في أجرة الهرب والخروج من بلادكم تاركين كل شيء خلفكم- لو أنفقتموه في الجهاد والإعداد له، لكان خيرًا في الدين والدنيا، وأفتى بوجوب الجهاد ضد التتر حتمًا في هذه الكرّة، وأن النصر متحقق بإذن الله[1].

تعد هذه الخطبة من الخطب الحماسية التي تعتمد على إثارة المشاعر والعواطف والأحاسيس، فقد حث فيها ابن تيمية الأمراء والفقهاء والقضاة والتجار والعامة على الوقوف في وجه التتار، وعدم الهرب وإنفاق المال في غير وجهه الصحيح، مذكرًا بالأجر والثواب العظيم، وأن النصر من عند الله، فكان لخطبته هذه أعظم الأثر في نفوس السامعين، واستمالة قلوبهم، وهكذا يقود العالم المربي أمته إلى الخير، ولا يتركها من غير نصح وتوجيه وإرشاد تتوه في ظلمات الضلال والانحراف.

وفي وقعة شَقْحب، في رمضان سنة ٧٠٢ هـ، كان لابن تيمية مواقف يندر أن تذكر لأحد مثله من العلماء الكبار بعد جيل الصحابة والتابعين[2]، ففي ١٨ من شعبان قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين، فيهم عدد من الأمراء، التقى بهم حين وصولهم،

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص١٤.

٢- انظر: المرجع السابق، ج١٤/ص٢٢- ٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

وخطب الأمراء، وخطب الجيش، وأثار نخوتهم وغيرتهم على الإسلام والمسلمين، وذكّرهم بعظيم الأجر للمجاهدين والمرابطين.

ثم ذهب والتقى بالعسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم، وخطبهم، ووعظهم، وذكرهم بفضل الجهاد، وذكر لهم تحالف إخوانهم الشاميين والمصريين على الجهاد، ودعاهم إلى ذلك، وحلفوا معه، واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته، وسماع كلامه ونصيحته، واتعظوا بمواعظه[1].

ففي مثل هذه الأحداث الجسام، والوقائع العظام، يكون الناس بأمس الحاجة إلى من يثير مشاعرهم وعواطفهم بكلام جياش، وعبارات جزيلة تصل إلى شغاف القلوب، فقد يتملك الخوف والجبن كثيرًا من الناس، فتأتي مثل هذه الخطب لتقوية عزائمهم، وتثبيت قلوبهم على الحق.

ثانيًا- الخطب العلمية:

وهناك نوع آخر من الخطب التي برع فيها ابن تيمية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي ما يعرف بالخطب العلمية التي تتميز بالعناية بالجوانب العلمية؛ لأنها تهدف لتوضيح مسألة من المسائل العلمية، أو إثباتها، أو التدليل عليها، أو إزالة شبهة، أو إبطال فكرة، وذلك باستخدام أساليب الخطابة المتنوعة، وتستخدم مثل هذه الخطب في مجالات كثيرة، سيما تلك التي يكون فيها لقاء بأصحاب الطوائف والفرق، كتلك التي اجتمع فيها بجماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر، فحمد الله وأثنى

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عليه، وتكلم باتباع الشريعة، وأنه لا يسع أحد الخروج عنها بقول ولا فعل، وذكر أن لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار، وإخراج الزبد من الحلوق، وقال لهم: من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام، ثم يدلكه بالخل ثم يدخل، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا، وكانوا جمعًا كثيرًا، وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت رقبته، وحفظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء والأكابر وأعيان الدولة، وكتب الشيخ عقيب هذه الواقعة جزءًا في حال الأحمدية، ومبدئهم، وأصل طريقتهم، وذكر شيخهم، وما في طريقهم من الخير والشر، وأوضح الأمر في ذلك[1].

والملاحظ أن هذه الخطبة تتميز بعدة أمور، منها: البدء بالحمد والثناء، ثم الحث على وجوب اتباع الشرع قولاً وفعلاً، ثم الدخول بالموضوع والحديث عنه من مبدئه وأصله، ووجه الخير أو الشر فيه، بمعنى إيصال فكرة ما لمجموعة من السامعين على نحو مقنع ومؤثر، كما فعل شيخ الإسلام في هذه الخطبة، فلم ينفك المجلس إلا وقد تحقق له ما يريد من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وهكذا يكون حال الغيورين على دينهم وأمتهم، فلا يهنأ لهم عيش، ولا يقر لهم قرار وهم يرون ما يدْهَم عقيدة الأمة أو أخلاقها، مخلصين لله تعالى في عملهم ومسعاهم، لا يريدون من أحد من الخلق جزاء ولا شكورًا، ولذلك قلّما يخيب مسعاهم، أو تفشل

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣٠/ص٣٢٢، ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ٢١٠-٢١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

جهودهم، بل سرعان ما تأتي الثمار، فإن سهام الحق تبدد ظلمات الباطل، كما قال ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1].

ثالثًا- الخطب الإنكارية:

وتستخدم الخطب أحيانًا للإنكار على المفسدين والظالمين والمعتدين والمتجاوزين لحدود الله، كالخطبة التي خطبها شيخ الإسلام لما عاد الملك الناصر محمد قلاوون إلى حكم مصر، وأخرج ابن تيمية من السجن، واستقبله بحضور كبار القضاة والفقهاء والأمراء من مصر والشام استقبالاً عظيمًا.. وفي المجلس تكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض، وأنهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف في كل سنة زيادة على الحالية، فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام، وكبار العلماء من أهل مصر والشام، ومن جملتهم ابن الزملكاني... فقال لهم السلطان: ما تقولون؟ يستفتيهم في ذلك، فلم يتكلم أحد، فجثا الشيخ تقي الدين على ركبته، وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ورد على الوزير ما قاله ردًا عنيفًا، وجعل يرفع صوته والسلطان يتلافاه ويسكته برفق وتؤدة وتوقير، وبالغ الشيخ في الكلام، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، وبالغ في التشنيع على من يوافق في ذلك، وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصُر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذ ردّ ملكك إليك، وكبت عدوك، ونصرك على أعدائك. فذكر أن الجاشنكير هو

١- سورة الإسراء: آية ٨١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الذي جدد عليهم ذلك، فقال: والذي فعله الجاشنكير كان من مراسميك؛ لأنه إنما كان نائبًا لك، فأعجب السلطان ذلك، واستمر بهم على ذلك..[1].

ويتطلب هذا النوع من الخطب أن يكون الخطيب شجاعًا في قول الحق، جريئًا في الحديث، غليظًا في كلامه، شديدًا في بعض الأحيان في إنكاره على المعتدين والمفسدين؛ لأن مجال هذه الخطب إنكار المنكر، فلا يتناسب معها عادة اللين واللطف؛ إذ الخطابة وسيلة فاعلة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي تقوم على استمالة القلوب، واستثارة المشاعر والعواطف، وإقناع العقول، والخطيب الناجح هو الذي يملك مجموعة المؤهلات التي تؤهله للقيام بالخطابة على أصولها العلمية المعروفة عند العلماء، من فصاحة اللسان، والبراعة في اللغة، والوصول إلى قلوب المخاطبين وعقولهم بأجمل العبارات، وأحسن الجمل، وأروع الأدلة، وأفضل الموضوعات المنتقاة، فهذه مؤهلات مهمة في نجاح الخطيب في خطابته.

المطلب الثالث: الدروس العلمية

تعد الدروس العلمية وسيلة من وسائل مذاكرة العلم، والتواصل بين الأستاذ وطلابه، والشيخ وتلاميذه، والعالم ومحبيه، وفيها يحصل التعارف والالتقاء، والتناقش والحوار، والتساؤل والاستفسار، والشرح والتفصيل لمسألة من المسائل العلمية، أو قضية من

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٤٦-٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

القضايا الفكرية، فيجد العالم فيها متنفسًا لأفكاره وآرائه، ويجد فيها الطلاب مجلسًا للتعلم والتثقف، والازدياد من العلوم والمعارف.

والمعلم الناجح هو القادر على جلب انتباه طلابه وتلاميذه، وتدريب عقولهم على التفكير والتأمل بالأساليب المناسبة، واللغة السليمة، والأفكار المتسلسلة والمترابطة، والإقناع المبني على الأدلة والبراهين، حتى يتأثر الطلاب بأفكار المعلم الناجح وآرائه وتوجهاته ونظرياته، فيقتدون به، وينشرون فكره، ويرثون علمه.

وكانت دروس شيخ الإسلام ابن تيمية العلمية مضربًا للمثل، ومقصدًا لطلاب العلم؛ لكثرة فوائدها، وتعدد منافعها، وغزارة علومها ومعارفها، وكثرة مناقشاتها وحواراتها، ويصف ابن الوردي هذه المجالس بقوله: «وحضرت مجالس ابن تيمية، فإذا هو بيت القصيدة، علماء زمانه فلك هو قطبه، وجسم هو قلبه، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر»[1].

ويقول فتح الدين أبو الفتح اليعمري: «فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير»[2].

وأول ما يلفت النظر في مجالس شيخ الإسلام تميزها من حيث عدد الحضور ومستوياتهم وأجناسهم وطبقاتهم، فتأثيرها بالغ في العالم والعامي، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، فكانوا يخرجون من مجلسه مشبعين بالعلم، مرتوين بالمعرفة، يقول البزار: «وكان مجلسه عامًا للكبير والصغير، والجليل والحقير، والحر والعبد، والذكر

١- مرعي بن يوسف الحنبلي، الشهادة الزكية، ص٣٠.

٢- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والأنثى، قد وسع على كل من يرد عليه من الناس، يرى كلٌّ منهم في نفسه أنه لم يكـرم أحدًا بقدره»[1].

وهذا ما يميز العالم الرباني المربي عن غيره، وهذا ما يجعل لبعض العلماء القبول في الأرض، وبقاء علومهم يتوارثها الأجيال كل جيل يغتنم فرصة تجديد هذا العلم ونشره، فما كان لله يبقى، وما كان لغيره يفنى.

ويقول البزار أيضًا، بعد أن تحدث طويلاً في وصف دروس ابن تيميـة: «وهـذا الذي ذكرته من أحوال درسه أمر مشهور يوافقني عليه كل حاضر بها، وهم- بحمد الله- خلق كثير، لم يحصر عددهم، علماء ورؤساء وفضلاء، من القراء والمحـدثين والفقهـاء والأدباء وغيرهم من عوام المسلمين»[2].

وكان كثير من العلماء يحضرون مجالس شيخ الإسلام العلمية، ويهتمون بما يطرح فيها من مسائل وقضايا، ويتابعونها: كالقاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي كان كثيرًا ما يحضر دروسه، ويأخذ من فوائده ما شادَ به مجدًا أثيلاً أثيرًا، فكان يجلس منصتًا لا يتكلف لبحث ولا يتكلم[3].

ويذكر البزار أنه في حال إقامته بدمشق كان لا يفوت دروس ابن تيميـة، ويقـول فيها: «وكان لا يهيئ شيئًا من العلم ليلقيه ويورده، بل يجلس بعـد أن يـصلي ركعتـين، فيحمد الله، ويثني عليه، ويصلي على رسوله ﷺ على صفة مستحسنة مستعذبة لم أسمعها

١- البزار، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ص٤٠.

٢- المرجع السابق، ص٢٩.

٣- انظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١/ ص٣-٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

من غيره، ثم يشرع، فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول، واستدلالات بآيات وأحاديث، وأقوال العلماء، ونصر بعضها، وتبيين صحته، أو تزييف بعضها، وإيضاح حجته، واستشهاد بأشعار العرب، وربما ذكر اسم ناظمها، وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل، ويفيض كما يفيض البحر، ويصير منذ يتكلم إلى أن يفرغ كالغائب عن الحاضرين مغمضًا عينيه، وذلك كله مع عدم فكر فيه أو روية، من غير تعجرف، ولا توقف، ولا لحن، بل فيض إلهي، حتى يبهر كل سامع وناظر، فلا يزال كذلك إلى أن يصمت، وكنت أراه حينئذٍ كأنه قد صار بحضرة من يشغله عن غيره، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب، ويحير الأبصار والعقول»[1].

وهذا الإعجاب الكبير بدروس ابن تيمية، ووصف أدائه فيها، وأحواله وحركاته وكلماته وعباراته من مثل هؤلاء العلماء وغيرهم، يدل على مدى تأثر المستمعين بها، وانشغالهم فيها، وحرصهم على حضورها، بل يدل على مدى وقعها في النفوس، وقبول القلوب والعقول لها.

ومن صفاته التي تميز بها في دروسه العلمية التواضع والهيبة وبشاشة الوجه، يقول البزار: «وكان إذا فرغ من درسه يفتح عينيه، ويقبل على الناس بوجه طلق بشيش، وخلق دمث كأنه قد لقيهم حينئذٍ، وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال»[2].

١- البزار، الأعلام العلية، ص٢٦- ٢٨.

٢- المرجع السابق، ص٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولم يكن الحاضرون يملّون من كثرة دروسه؛ فقد كان يعقد عدة مجالس في اليوم والليلة، بعضها في التفسير، وأخرى في الفقه والعقيدة واللغة وغيرها، يحضر في كل منها العدد الكبير، يقول البزار: «ثم يعود إلى مسجده، فلا يزال تارة في إفتاء الناس، وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة، ثم كذلك بقية يومه.. ثم يصلي المغرب، ثم يتطوع بما يسره الله، ثم أقرأ عليه من مؤلفاته، أو غيري، فيفيدنا بالطرائف، ويمدنا باللطائف حتى يصلي العشاء، ثم بعدها كما كنا، وكان من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هوي من الليل طويل»[1].

فهذا التّمرس على إلقاء الدروس أمام القضاة والشيوخ الكبار وطلاب العلم منذ الصغر، كان له دور بارز في تمكن ابن تيمية من بسط الموضوعات، وتناول القضايا، ومناقشة الأفكار، ودحض الأباطيل بقدرة علمية فائقة قَلَّ من يجيدها، وندر من يتقنها بهذه المهنية التعليمية الراقية.

وكان شيخ الإسلام يجد في هذه المجالس مجالاً رحبًا للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فينكر على المفسدين أفعالهم، ويرد على الفرق والطوائف أقوالهم، ويفند شُبه الكفار الباطلة، ويناقش أقوال العلماء بتجرد وموضوعية، ويرجح منها ما يراه صوابًا، فكانت دروسه سببًا من أسباب جلب المحن عليه، فقد انعقد له مجلس بدار الحكم بحضرة نائب السلطة، حضره القضاة والفقهاء والمفتون من المذاهب الأربعة، فتكلم ابن تيمية في هذا المجلس بدرس لم يُرضِ الحاضرين، فكان سببًا في إدخاله الحبس خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، فلما أخرج عاد لدروسه، إلا أن الأعين المتربصة به، والقلوب الناقمة

١- البزار، الأعلام العلية، ص٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عليه كانت له بالمرصاد، واجتمع المتآمرون عليه، وكاتبوا السلطان، فجاء الأمر إلى دمشق في السابع من شعبان سنة ٧٢٦ هـ بحبس الشيخ في القلعة، قلعة دمشق[١].

ولم يكن ابن تيمية يتردد في قول الحق الذي أداه إليه اجتهاده، فهو حريص كل الحرص على التمسك بالآيات الكريمة، وأحاديث النبي ﷺ في دروسه، ولا يدعها لقول قائل كائناً مَن كان، يقول البزار: «ويقضي ويفتي بمقتضاه- أي الحديث- ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائناً من كان، وقال ﷺ: كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله»[٢].

إذن لا يخفى ما لمثل هذه الدروس من وقع كبير على المستمعين، وأثر عظيم في نفوس الحاضرين، إذ تميزت بجودة الموضوعات، ورصانة العبارات، وإتقان الاستدلالات، ومهارة الإلقاء، وحسن الأداء بالأسلوب العلمي السليم، والطرق التعليمية المناسبة. وتكمن أهمية الدروس العلمية في أنَّ العينة المستهدفة منها جلّهم من طلاب العلم والمثقفين والمهتمين، الذين هم نخبة المجتمع، وحملة أفكاره، وصناع اتجاهاته، ولهذا أثر قوي في اضمحلال منابع المنكرات، وتجفيف أصول البدع والضلالات، وتنمية اتجاهات أهل المعروف والخيرات.

١- انظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١/ ص٤.

٢- البزار، الأعلام العلية، ص٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الرابع: مجالس الإفتاء

لم تكن الفتوى عند شيخ الإسلام مجرد بيان لحكم شرعي في مسألة ما يُسأل عنها، وإنما هي أمر بالمعروف إن تعلقت بأمر واجب أو مندوب، أو نهي عن منكر إن تعلقت بأمر محرم أو مكروه، وكان من عادته- رحمه الله- أن يعقد كل يوم مجلسًا للفتوى يجيب فيه عن أسئلة الحاضرين فيما يواجهونه في حياتهم اليومية، ومعاملاتهم المتكررة، فيبسط القول في المسائل والقضايا، ويوضح آراء العلماء فيها، ويرجح ما يراه مناسبًا داعمًا إجاباته بالأدلة الشرعية، والبراهين الساطعة، والحجج المقنعة.

وقد أفتى شيخ الإسلام وهو ابن سبع عشرة سنة[1]، وأقبل عليه الناس، ورأوا فيه أنموذجًا للعالم المجتهد المجدد، بعد أن ملك بسمات الإحسان والأخلاق والتواضع قلوب الناس، وكان مثالاً للصفاء والنقاء، والحب والوفاء، والزهد والورع، حتى صارت العامة تثق بفتواه، وتقتنع باجتهاداته؛ لسعة علمه، وشمول معرفته، وكثرة إطلاعه، وقوة حجته، وسرعة بديهته، وحدة ذكائه، يقول الذهبي: «وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة.. وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث»[1]، ويقول فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري: «وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا»[2].

ويعد ابن تيمية من العلماء الذين نقل عنهم الكثير من الفتاوى، يقول البزار: « وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل، فهي أكثر من أن أقدر على إحصائها، لكن دُوّن بمصر منها على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدًا، وهذا ظاهر مشهور، وجمع أصحابه أكثر من أربعين ألف مسألة»[3]، ويعود كثرة ما نقل عن شيخ الإسلام من فتاوى إلى أسباب متعددة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً- البيئة التي عاش فيها ابن تيمية: فقد كانت غزيرة بالأحداث والوقائع والمسائل، وقد سبق الحديث عنها في الفصل الثاني من هذه الدراسة من الناحية الاجتماعية والسياسية والفكرية.

ثانيًا- شهرة ابن تيمية بين الناس: لمواقفه التي وقفها أمام الحكام والأمراء والأعداء، وجرأته وشجاعته في قول الحق، التي جعلت الأنظار تتجه بالسؤال وطرح المسائل العلمية عليه.

ثالثًا- ما جرى بين ابن تيمية وأهل الفرق والطوائف من نقاشات وردود ومناظرات، كانت سببًا في علو شأنه، وسطوع نجمه.

١- مرعي الحنبلي، الشهادة الزكية، ص٤١.

٢- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٦.

٣- البزار، الأعلام العلية، ص٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

رابعًا- منزلة أسرة ابن تيمية ومكانتهم بين الناس: فقد كان جده ووالده من أشهر علماء المذهب الحنبلي، فتوارث الفتوى وكثرتُها ليس بشيء غريب على أمثال ابن تيمية.

خامسًا- كثرة أسفار ابن تيمية وتنقله بين البلدان الإسلامية، ومكوثه في مصر والإسكندرية مدة من الزمن كانت من أسباب تعرف الناس عليه، وجلوسهم إليه، وحضورهم مجالسه.

سادسًا- تعرض ابن تيمية لقضايا عقائدية، ومسائل فقهية، وأفتى بفتاوى خالف فيها جمهور العلماء، والمشهور عندهم، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وهابوا، وجسر عليها[1].

هذه الأسباب وغيرها جعلت من ابن تيمية محطًا للأنظار، ومقصدًا لطلاب العلم، وغاية للعامة، يعرضون عليه ما يواجهونه في حياتهم من مسائل وقضايا، فيجيب عن أسئلتهم، ويرد على استفساراتهم، يقول البزار: «وقلَّ أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر، وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل، ومطالعة كتب، وقد لا يقدر مع ذلك على إبراز مثله»[2].

وكان من عادته- رحمه الله- أن يكتب المسائل التي تعرض عليه ويدونها في مجلدات، يقول ابن عبد الهادي: « ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٣٣، وابن حجر، الرد الوافر، ص٣٤، ومرعي الحنبلي، الشهادة الزكية، ص٤١.

٢- البزار، الأعلام العلية، ص٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المفتين في العصر، فكتب فيها مجلدًا كبيرًا، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود، فكتب فيها مجلدًا كبيرًا»[1].

وكانت فتاوى شيخ الإسلام أحد أبرز الأسباب التي جلبت عليه الكثير من المِحَن والشدائد، فقد أفتى بفتاوى عديدة لم ترُقْ لبعض الحكام والفقهاء والعلماء في مسائل عديدة، فأنكروا عليه إنكارًا شديدًا لمجرد أنه انفرد برأي خالف فيه رأي جمهور العلماء في الفتوى، أو المشهور من أقوالهم، أو وافق فيها رأي بعض العلماء وخالف بعضهم، أو رجح فيها رأي عالم من العلماء، أو نظر للمسألة من وجهة نظر مختلفة لم تعهد من قبل، يقول الذهبي: «وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها، واحتج لها بالكتاب»[2].

فحبس وأُوذي ومنع من الإفتاء على الرغم من عدم مخالفته للأصول العلمية المتبعة في الفتوى، أو المنهج العلمي الصحيح، ولم يخالف مخالفة صريحة لنص قرآني، أو حديث صحيح، بل كان من أشد العلماء تمسكًا بالنصوص الشرعية ومدلولاتها، وبآثار الصحابة والتابعين.

وكان يفتي بما أداه إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم، ومن اختياراته التي خالفهم فيها، أو

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٤.

٢- مرعي الحنبلي، الشهادة الزكية، ص٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

خالف المشهور من أقوالهم: القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفرًا طويلاً كان أو قصيرًا، كما هو مذهب الظاهرية وقول بعض الصحابة[1].

والقول بأن البكر لا تستبرأ وإن كانت كبيرة، كما هو قول ابن عمر، واختاره البخاري صاحب الصحيح، والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما يشترط للصلاة، كما هو مذهب ابن عمر، واختيار البخاري أيضًا.

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقدًا أنه ليل، فبان نهارًا، فلا قضاء عليه، كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ، وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض الفقهاء بعدهم.

والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة، كما هو في حق القارن والمفرد، كما هو قول ابن عباس- رضي الله عنهما- ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل، رواها عنه ابنه عبد الله، وكثير من أصحاب الإمام أحمد لا يعرفونها.

والقول بجواز المسابقة بلا محلل وإن خرج المتسابقان، والقول باستبراء المختلعة بحيضة، وكذلك الموطوءة بشبهة، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات، والقول: بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين، والقول بجواز عقد الرداء في الإحرام ولا فدية في ذلك، وجواز طواف الحائض ولا شيء عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهرًا.

والقول بجواز بيع الأصل بالعصير كالزيتون بالزيت، والسمسم بالسيرج، والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمى ماء، مطلقًا كان أو مقيدًا، والقول بجواز بيع ما يتخذ من

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٤/ ص١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفضة للتحلي وغيره: كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلاً، وجعل الزائد من الثمن في مقابل الصنعة، والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير، قليلاً كان أو كثيرًا، والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء، والقول بجواز التيمم في مواضع معروفة، والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة، وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله[1].

ولم يكن ابن تيمية معصومًا، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، بل كان عالمًا مجتهدًا له صوابه وخطؤه، ردّ على أناس كثيرين، ورد عليه أيضًا أناس كثيرون، وكما قال الإمام مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر[2].

وفي الجملة، فإن ما تفرد به ابن تيمية من مسائل مخالفًا غيره من أئمة الفقه لم يخرج بها عن أقوال السلف من الصحابة والتابعين، فليس له- بحمد الله- قول لا سلف له فيه، هكذا كان منهجه لا يقول قولاً لا سلف له فيه، وقد آتاه الله من العلم ما يستطيع به أن يرجح ما يراه راجحًا، ويبطل ما يراه باطلاً. وليس كل ما رجحه صوابًا، وكل ما أبطله باطلاً.

وهنا يجب التوقف قليلاً، والنظر والتأمل في موقف شيخ الإسلام، فقد صبر وثبت- رحمه الله- على أقواله وآرائه المدعومة بالأدلة والحجج والبراهين فيما تفرد به من مسائل فقهية، حيث لا يجب الإنكار فيها وإن خالف غيره، ولا ينكر على غيره وإن خالفه، خاصة في المسائل التي قد تتعدد فيها الاجتهادات والآراء ووجهات النظر، وقد

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٣٨-٣٣٩.

٢- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص١٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يغالي البعض ويتعصب لرأيه، وينكر على المخالفين، ويعده من باب إنكار المنكر، وهو في الحقيقة بعيد كل البعد عن ذلك؛ لأن تعدد الآراء في المسألة التي يسوغ فيها الاجتهاد يعد سمة وعلامة على عمق التفكير، وصحة النظر، وسلامة المنهج، ولذلك لم يثنِ الحبس، وشدة ما ناله من التعذيب وأقوال المخالفين والمغرضين والحاسدين، شيخ الإسلام عن التعبير عن وجهة نظره، والثبات عليها، وهذه قضية قديمة حديثة، فحرية الرأي في الإسلام مكفولة، ويجب احترامها وتقديرها، وعدم معاقبة أو محاسبة من يعبر عن رأيه ووجهة نظره إذا كان متأولاً، ما لم يخالف قواعد وأصول المنهج العلمي السليم القائم على الحجة والبرهان والدليل العلمي.

المطلب الخامس: المناظرة

تعد المناظرة وسيلةً مهمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حيث فيها يتقابل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مع غيره في جدال، أو حوار، أو نقاش حول قضية من القضايا، أو مسألة من المسائل، فيسعى إلى تبيين الحق، وإظهار الصواب، وكشف الباطل، ودفع الشُّبَه والشكوك، وإزالة الغموض والإبهام، يقول ابن تيمية: «ولهذا كان كثير من مناظرة أهل الكلام إنما هي في بيان فساد مذهب المخالفين، وبيان

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تناقضهم»[1]، وهذا يتطلب من الآمر والناهي أن يكون لديهما ملكة في الجدل والبحث والاستنباط والفهم والتعليل، وقوة الذهن، وسرعة البديهة؛ حتى يكون ناجحًا في مناظرته.

فما معنى المناظرة في اللغة والاصطلاح؟ وما فوائدها؟ وكيف أفاد منها ابن تيمية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟

أولاً- معنى المناظرة لغةً: تدل مادة نظر على تأمل الشيء ومعاينته[2]، أو على النظر والاعتبار[3]، وعرّف الراغب الأصفهاني المناظرة بأنها: «تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد بها التأمل والفحص»[4]، ويؤخذ من كلامه أن النظر يقع في المحسوسات والمعاني، فما كان من المحسوسات فالنظر إليه بالبصر، وما كان من المعاني فالنظر إليه بالبصيرة والعقل. والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته[5]، والنظر: البحث[6].

ثانيًا- معنى المناظرة اصطلاحًا: عرفها الجرجاني والمناوي بأنها: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب[7]، وقيل: هي تردد الكلام

١- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٢/ ص٣٤٤.

٢- انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٥/ ص٤٤٤.

٣- انظر: ابن سينا، المنطق، ج٢/ص٣٣.

٤- الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٥١٨.

٥- انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٥١٨.

٦- انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ٨/ ١٥٦، والزبيدي، تاج العروس، ١/ ٣٥٥٤، وابن منظور، لسان العرب، ٥/٢١٥.

٧- انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٩٨، والمناوي، التعاريف، ص٦٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق[1].

والحقيقة أن هناك ترابطًا وثيقًا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمناظرة، في كون المناظرة يحصل فيها التدبر والتفكر والبحث، كما أن فيها معنى التقابل بين المتناظرين بين أدلتهما وقوليهما، ولذا يمكن تعريفها بأنها حوار بين شخصين، أو فريقين يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معين، والدفاع عنها بشتى الأساليب العلمية، ومن الألفاظ ذات الصلة بالمناظرة: الجدل، المحاورة، المناقشة، المحاجّة، والبحث، ولكل من هذه الألفاظ معنى ليس هنا مجال البسط فيه.

ثالثًا- فوائد المناظرة: للمناظرة فوائد جليلة، ومن أهمها أنها تؤدي إلى فهم المسائل والقضايا العلمية، وإبطال الباطل، وبيان الخطأ من الأقوال والمرجوح، ورفع الإشكال واللبس والاشتباه الواقع في الأدلة عند المناظر، أو الشبه التي يستدل بها المخالف، وتبادل الفوائد ودقائق المسائل بين المتناظرين، وتقليل الخلافات في المسائل العلمية والعملية، ومذاكرة المسائل العلمية وتثبيتها، وتثبيت الإيمان بها واعتقادها[2].

رابعًا- ابن تيمية والمناظرة: شهد العديد من العلماء لابن تيمية بالبراعة في المناظرة، فقد توافرت فيه مجموعة من الصفات الفريدة التي كانت سببًا في تفوقه في مناظراته على مخالفيه، ويصف الذهبي قدرات ابن تيمية الفائقة في المناظرة بقوله: «ما رأيت أحدًا أسرع انتزاعًا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضارًا

١- انظر: زاهر الألمعي، مناهج الجدل في القرآن، ص ٢٤.

٢- انظر: خالد خميس فرّاج، المناظرة تعريفها وأهميتها وأنواعها، ص١-٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح، أو إلى المسند، أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنن نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف»[١]، وقال عنه ابن الزملكاني: «لا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه»[٢].

وقد كانت مناظراته سببًا من أسباب جلب العداوة له، ولكن كعادته- رحمه الله- يسطر لنا في مواقفه دروسًا في الصبر والثبات والشجاعة والجرأة، يقول الذهبي: «لقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها.. وقام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، وبدّعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أدّاه إليه اجتهاده وحدة ذهنه»[٣].

وقد وظّف شيخ الإسلام هذه الموهبة أحسن توظيف في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي الدفاع عن الإسلام ونصرته وإزالة الشبهات عنه، فقد كانت له مناظرات علميّة فريدة مع أهل الفرق والطوائف وغيرهم، يقول ابن عبد الهادي: «ثم انفتح له بعد ذلك من الردّ على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع، وما لا يوصف ولا يعبر عنه، وجرى له من المناظرات العجيبة، والمباحث الدقيقة، في كتبه وغير كتبه، مع أقرانه وغيرهم، في سائر أنواع العلوم- ما تضيق العبارة عنه»[٤].

١- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٧٥.

٢- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٣.

٣- مرعي الحنبلي، الشهادة الزكية، ص٤١، وابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٣٣.

٤- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وكان يرى في المناظرة وسيلة مشروعة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد حضّ الله على المناظرة والمشاورة، لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة[١]، فهي تارة تكون واجبة، وتارة تكون مستحبة[٢]، بل قد عظّم شأن مناظرة المخالفين، ودحض شبهاتهم، يقول ابن تيمية: « كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس»[٣].

ولما قرر شيخ الإسلام مشروعية المناظرة، وأهميتها في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ذكر جملة من الأحوال التي نهى السلف عنها في المناظرة، فقال: «وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المضلّ، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجًا قويًا من علوج الكفار، فإن ذلك يضرّه ويضر المسلمين بلا منفعة، وقد ينهى عنه إذا كان المناظر معاندًا يظهر له الحق فلا يقبله، فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة، بيّنة بنفسها، ضرورية، وجحدها الخصم، كان سوفسطائيًا، ولم يؤمر بمناظرته بعد ذلك، بل إن كان فاسد العقل داووه، وإن كان عاجزًا عن المعرفة تركوه، وإن كان مستحقًا للعقاب عاقبوه مع القدرة»[٤].

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٦.

٢- انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧/ ص١٧٤.

٣- المرجع السابق، ج١/ص٣٥٧.

٤- المرجع السابق، ج٧/ص١٧٣-١٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وإذا كانت تلك هي الوصايا التي سطرها علماء السلف في أحوال المناظر وخصمه، فإن هذا التوجيه من علمائنا جاء عن تجربة، فلا يُناظر أحدٌ دون النظر في هذه الوصايا التي تعتبر ضوابط للمناظرة، لاسيما في عصرنا اليوم، حيث أصبحت فيه المناظرة عبر القنوات التي يشاهدها ملايين البشر، فيكون وقعها على النفوس سلاحًا ذا حدين: إما أن تزيد فتنة الناس، وإما أن تفند الشبهات، وتزيلها من أذهانهم، فالمناظرة من أخطر الوسائل أو أنفعها في الوقت نفسه، وليس كل أحد مهيَّئًا لها.

ومن هنا ندرك السر في تقسيم ابن تيمية المناظرة إلى قسمين: محمودة ومذمومة، والمحمودة نوعان، والمذمومة نوعان: وذلك لأن المناظر إما أن يكون عالمًا بالحق، وإما أن يكون طالبًا له، وإما ألا يكون عالمًا به، ولا طالبًا له، فهذا الثالث هو المذموم بلا ريب، وأما الأولان: فمن كان عالمًا بالحق، فمناظرته المحمودة أن يبين لغيره الحجة التي تهديه إن كان مسترشدًا طالبًا للحق إذا تبين له، أو يقطعه ويكف عداوته إن كان معاندًا غير متبع للحق إذا تبين له، ويوقفه ويسلكه ويبعثه على النظر في أدلة الحق إن كان يظن أنه حق، وقصده الحق.

وأما المناظرة المذمومة من العالم بالحق، فأن يكون قصده مجرد الظلم والعدوان لمن يناظره، ومجرد إظهار علمه وبيانه لإرادة العلو في الأرض، فإذا أراد علوًا في الأرض، أو فسادًا، كان مذمومًا على إرادته.. وأما إن كان المناظر غير عالم بالحق، بأن لا يعرف الحق في نفس المسألة، أو يعرف الحق لكن لا يعرف بعض الحجج، أو الجواب عن بعض المعارضات، أو الجمع بين دليلين متعارضين، وأمثال ذلك، فهذا إذا ناظر طالبًا لمعرفة الحق وأدلته، والجواب عما يعارضها، والجمع بين الأدلة الصحيحة، كان محمودًا،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وإن ناظر بلا علم، فتكلم بما لا يعرف من القضايا والمقدمات، كان مذمومًا، والسلف- رضوان الله عليهم- كانت مناظرتهم مع الكفار وأهل البدع- كالخوارج وغيرهم- من القسم الأول مناظرة محمودة[1].

وقد ورد في كتاب قيّم لعبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، العديد من مناظرات شيخ الإسلام مع أهل الملل والنحل، وعلق عليها، ويمكن أن يستفيد منها كثيرًا من أراد التعرف على أسلوب ابن تيمية في المناظرة، وبراعته فيها، حيث ساق الباحث أربع مناظرات لابن تيمية تجاه النصارى، في شركهم، وتأليههم المسيح، وقولهم بظهور اللاهوت في الناسوت، ثم أتبع ذلك بمناظرات ابن تيمية لأهل الاتحاد ووحدة الوجود، والتي تتميّز بكثرتها وتنوّع مسائلها، وعثر الباحث على مناظرتين لابن تيمية مع القبوريين، إحداهما في شأن تعظيمهم الأحجار، والأخرى في غلوهم في قبور العبيديين، ثم أوجز الباحث مناظرات ابن تيمية للرفاعية؛ نظرًا لطولها وشهرتها، ثم أعقب ذلك بمناظرتين للرافضة في مسائل الإمامة، وأما مناظراته لنفاة الصفات، فقد وقف الباحث على أربع مناظرات.

واخترت من مناظرات شيخ الإسلام ست مناظرات تهمنا كثيرًا في باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفيها العديد من الفوائد القيمة، وهي:

١- انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧/ص١٦٧-١٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

أولاً- نماذج من مناظرات شيخ الإسلام للقبوريين:

مناظرة شيخ الإسلام للقبوريين: كان لشيخ الإسلام صولات وجولات مع القبوريين، فقد ناظرهم بالدليل والبرهان، وأجاب عن شبهاتهم، ودحض أكاذيبهم بالحجة والبيان.

وساق إبراهيم بن أحمد الغياني أحد هذه المناظرات الرائعة بقوله: شرع شيخ الإسلام يعيب تلك الأحجار التي كان الناس يتبركون بها، وينهى الناس عن إتيانها، أو أن يحسن بها الظن، فقال بعض الناس: إنه قد جاء حديث: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به»[1]، فقال الشيخ: هذا الحديث كذب مختلق، وإفك مفترى على رسول الله، والذي صحّ وثبت عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربّه ﷻ أنه قال: «أنا عند ظن عبدي بي»[2].

فهو الرب العظيم الكبير المتعال، الذي بيده ملكوت كل شيء، يُحسن العبد به ظنه، لا يحسن ظنه بالأحجار، فإن الكفار أحسنوا ظنهم بالأحجار فأدخلتهم النار، وقد قال الله تعالى في الأحجار وفيمن أحسنوا بها الظن حتى عبدوها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ

١- قال ابن تيمية: كذب. ونحوه قول الحافظ ابن حجر: لا أصل له، وفي معناه من بلغه عن الله شيء فيه فضيلة فعمل به إيمانًا به، ورجاء ثوابه، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك، قال السخاوي في المقاصد: ولا يصح أيضًا كما بينته في القول البديع، وقال ابن القيم: هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار، والمشهور على الألسنة: لو اعتقد أحدكم على حجر لنفعه. وعبارة النجم: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به، أو لو اعتقد أحدكم حجرًا نفعه الله به، أو لنفعه، كذب لا أصل له كما قال ابن تيمية وابن حجر وغيرهما. انتهى. (إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، حديث رقم (٢٠٨٧)، ج٢/ ص١٥٢).

٢- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، حديث رقم (٦٩٧٠)، ٦/٢٦٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1]، وقد أمر النبي ﷺ أن يستجمر من البول بثلاثة أحجار[2]، وما قال: أحسنوا ظنكم بها، بل قال: استجمروا بها من البول[3][4].

فأول ما يلفت النظر في هذه المناظرة مدى تمسك شيخ الإسلام بالأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ، واستدلاله بها، وإنكاره على الاحتجاج بالأحاديث الموضوعة والمكذوبة التي تؤدي إلى إضلال الناس وانحرافهم عن الطريق الصحيح، وبعد ذلك بدأ- رحمه الله- ببيان حقيقة الحجارة التي عبدها الناس وتبركوا بها، وأنها لا تعدو أن تكون خلقًا من خلق الله، لها وظائف محددة لا تتجاوزها إلى النفع والضر كما اعتقدت بعض الأمم الضالة، وكانت اعتقادهم هذا سببًا في دخولهم النار.

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون دأبه في المناظرة الاحتجاج بالأدلة الصحيحة، والبعد عن الروايات الضعيفة، ولذا تجد ابن تيمية يقول: «ولهذا ذم السلف أهل الكلام, وكذلك الجدل إذا لم يكن الكلام بحجة صحيحة، لم يك إلا جدلاً محضًا»[5].

١- سورة التحريم: آية ٦.

٢- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة، حديث رقم (١٥٥)، ج١/ ص٧٠.

٣- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة، حديث رقم (١٥٥)، ج١/ ص٧٠.

٤- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٤/ص٣٣٤- ٣٣٥، وابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج١/ص٤٨٣.

٥- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٣/ ص٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد أبلى شيخ الإسلام بلاء حسنًا في تفنيد أباطيل هؤلاء القبوريين وضـــلالاتهم، واستفاض في الحديث عن أحوالهم، حتى عرَّف الناس بهم وبأكاذيبهم ومعتقداتهم الفاسدة، ومن ذلك أنه لما بيّن حال أولئك الغلاة الذين يطلبون حاجاتهم عند القبور، وربمـــا كـــان صاحب القبر كافرًا أو منافقًا، ساق المناظرة التالية:

وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون في العبيديين أنهم أولياء لله تعالى صـــالحون، فلما ذكرت لهم أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة، وخيار من فيهم الرافضة، جعلوا يتعجبون ويقولون: نحن نذهب بالفرس التي بها مَغْلّ إلى قبورهم، فتشفى عند قبورهم، فقلت لهـــم: هذا من أعظم الأدلة على كفرهم، وطلبت من طائفة من سياس الخيل، فقلت: أنتم بالـــشام ومصر، إذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون بها، فقالوا: في الشام يُذهب بها إلـــى قبـــور اليهود والنصارى، وإذا كنا في أرض الشمال يذهب بها إلى القبور التي ببلاد الإسماعيلية كالعليقة والمنقية ونحوهما، وأما في مصر، فيذهب بها إلى دير هناك للنصارى، ونـــذهب بها إلى قبور هؤلاء الأشراف، وهم يظنون أن العبيديين شرفاء، لما أظهروا أنهم من أهل البيت، فقلت: هل يذهبون بها إلى قبور صالحي المسلمين، مثل: قبر الليـــث بـــن ســـعد، والشافعي، وابن القاسم، وغير هؤلاء, فقالوا: لا، فقلت لأولئك: اسمعوا، إنما يذهبون بهـــا إلى قبور الكفار والمنافقين، وبينت لهم سبب ذلك، قلت: لأن هؤلاء يعذبون في قبـــورهم، والبهائم تسمع أصواتهم، كما ثبت في الحديث الصحيح[1]، فإذا سمعت ذلك فزعت، فبسبب

١- والحديث هو: عن عائشة قالت: دخلت علي عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتـــا لـــي: إن أهـــل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا، ودخل علي النبي ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين وذكرت له، فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلهـــا. (أخرجـــه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الرعب الذي يحصل لها تنحل بطونها فتروث، فإن الفزع يقتضي الإسهال. فيعجبون من ذلك، وهذا المعنى كثيرًا ما كنت أذكره للناس، ولم أعلم أحدًا قاله، ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء[1].

وفي هذه المناظرة لم يقتصر ابن تيمية على الدليل النقلي، بل وازن بينه وبين الدليل العقلي في دحض شبه هؤلاء الجهلة والضالين، وقد توسع- رحمه الله- في ضرب الأمثلة العقلية بأسلوب مقنع ينبغي للآمر والناهي اتباعه في توعية العامة وتحذيرهم، بعد إحاطته بجوانب المسألة.

وقد يتعجب بعضهم من وجود مثل هؤلاء في عصر ابن تيمية بعد سبعة قرون تقريبًا من بعثة النبي ﷺ، التي بدد فيها ظلمات الشرك بنور التوحيد، ولكن العجب أكثر ممن وصل بهم الحال في أيامنا هذه إلى أبعد من ذلك وأخطر، حيث انبرى بعض المناصرين والمدافعين عن القبوريين في بلادنا، الكويت، بزعم أن الطواف بالقبور مثل الطواف بالكعبة، وقد حاول تبرير موقفه، في لقاء آخر في وسائل الإعلام، بأن من يذهبون إلى القبور يسألون حاجاتهم كمن يذهب لأعضاء مجلس الأمة في بلادنا لقضاء حوائجه الدنيوية، دون أن يفرق بين ما لا يقدر على إجابته إلا الله، وبين قدرة المخلوق، وقد نشر ذلك في وسائل الإعلام والصحف الكويتية مع ردود كثيرة لطلبة العلم والمشايخ على ما يزعم من عقيدة فاسدة حارب ابن تيمية في عصره من ينتمون إليها، والتي يعتقد

البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم (٦٠٠٥)، ج٥/ ص٢٣٤١).

١- انظر: ابن تيمية، الرد على البكري، ج٢/ص٥٨٧-٥٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بعضهم أنه يندر وجود هذه العقيدة في مجتمعاتنا، وهي للأسف ما زالت موجودة، تتخـر في جسد الأمة، فينبغي علينا التنبه لذلك، والحذر منه كل الحذر.

ثانيًا- نماذج من مناظرات شيخ الإسلام للنصارى:

مناظرة ابن تيمية لبعض النصارى: ردّ ابن تيمية في هذه المناظرة على النصارى تشبيههم ظهور اللاهوت في الناسوت، بظهور الروح في البدن، وأنه إذا كان البدن يتـألم بما يصيب الروح من الألم، فيلزم النصارى أن يكون الناسوت لمـا صـلب وتوجّـع أن يكون- أيضًا- اللاهوت متوجعًا، ويقول ابن تيمية: قال لي بعـض النـصارى: الـروح بسيطة، أي لا يلحقها ألم، فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعـد المـوت أمنعمـة أو معذبة؟ فقال: هي في العذاب، فقلت: فعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذّب، فـإذا شـبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن، لزم أن تتألم إذا تألم الناسوت، كما تتألم الروح إذا تألم البدن[1].

ويتجلى في هذه المناظرة براعة شيخ الإسلام في المناظرة، فقد كشف عن تناقض بعض النصارى الذين يزعمون بأن الروح لا يلحقها ألم، مع أنهم أقروا بأن أرواح الكفار في ألم وعذاب، فقد ألزمهم بنتيجة ما يقولون بعد أن طرح عليهم سؤالاً ذكيًا.

١- انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٣/ ص٣٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

ثالثًا- نماذج من مناظرات ابن تيمية لأهل الاتحاد ووحدة الوجود:

يروي شيخ الإسلام مناظرته مع أحد شيوخ هؤلاء الضُلاّل، لما قدم التتار آخر قدماتهم، فقال: «وكنت أحرض الناس على جهادهم، فقال لي هذا الشيخ: أقاتل الله؟ فقلت له: هؤلاء التتار هم الله، وهم من شر الخلق؟ هؤلاء خارجون عن دين الله، وإن قدر أنهم كما يقولون، فالذي يقاتلهم هو الله، ويكون الله يقاتل الله؟ وقول هذا الشيخ لازم هذا وأمثاله»[1].

وفي هذه المناظرة أظهر لنا شيخ الإسلام مآل قول هؤلاء الضالين، وما فيها من انحراف وضلال وكفر وإلحاد، وحذر- رحمه الله- منهم أشد التحذير، ومن أقواله فيهم: «وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام، فما علمتُ أحدًا سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض، هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين..»[2].

وهنا يجب التنبيه على ما يجب أن يكون قصد المناظر من كشف الضلال والزيف والانحراف عند مثل هؤلاء، وإظهارها للناس بإبطالها بالحجة والبرهان، والتحذير منها ومن خطورتها، وليس قصده مجرد المجادلة المحضة، وإظهار تفوقه على مخالفيه، وبراعته في المناظرة.

١- ابن تيمية، الرد على البكري، ج١/ ص٣٦٩.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢/ص٤٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

رابعًا- نماذج من مناظرات ابن تيمية لدجاجلة البطائحية الرفاعية:

وهي من أعظم ما تصدى له وقام به شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية من إقامة فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحياء السنة، ومحاربة البدعة، بعد أن أهمل ذلك الحكام والعلماء، ففشت البدع، وصار كثير منها يعد من شعائر الدين، أو خصائص الصالحين، فكان- رحمه الله- من أعظم المجددين، وقد تحدث- رحمه الله- عن هذه المناظرة بقوله: "أما بعد، فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الإمارة والميدان، بحضرة الخلق من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم، في أمر البطائحية، يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس؛ لتشوف الهمم إلى معرفة ذلك، وحرص الناس على الاطلاع عليه، فإن من كان غائبًا عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة، ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويره، لانتشار هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بها من عز الدين، وظهور كلمته العليا، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة، والأحوال الفاسدة، والتلبيس على المسلمين.

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقهم، وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله، وما وافقوا منه المسلمين، وما خالفوهم؛ ليتبين ما دخلوا فيه من دين الإسلام، وما خرجوا فيه عن دين الإسلام، فإن ذلك يطول وصفه في هذا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الموضع، وإنما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هـذه الواقعـة المـشهورة فـي مناظرتهم ومقابلتهم» [1].

خامسًا- نماذج من مناظرات شيخ الإسلام لنفاة الصفات:

من المعلوم أن مسائل الأسماء والصفات من أهم المسائل التي اشتغل ابن تيميـة بتقريرها، والرد على المخالفين، فقد سطّر المصنفات العديدة في هذا الباب، كمـا كانـت سيرته حافلة بمناظرات لنفاة الصفات[2].

ومن مناظراته في ذلك ما حكاه قائلاً: «وقد ناظرت غير واحد من هؤلاء من نفاة الصفات ومحرّفيها، من شيعي ومعتزلي وغيرهما، وذكرت لهم الشبهة التي يذكرها نفـاة الرؤية، فقلت هي كلها مبنية على مقدمتين:

إحداهما: أن الرؤية تستلزم كذا وكذا كالمقابلة والتحيز وغيرهما.

والثانية: أن هذه اللوازم منتفية عن الله تعالى، فكل ما يذكره هؤلاء فأحد الأمرين فيه لازم، إما أن لا يكون لازمًا، بل يمكن الرؤية مع عدمه، وهذا المسلك سلكه الأشعري وغيره، لكن أكثر العقلاء يقولون: إن من ذلك ما هو معلوم الفساد بالضرورة، وإمـا أن يكون لازمًا، فلا يكون محالاً، فليس في العقل ولا في السمع ما يحيله، بل إذا قـدّر أنـه

١- انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج١١/ ص٤٤٥-٤٤٦.

٢- انظر: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل، ج١/ ص٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لازم للرؤية فهو حق؛ لأن الرؤية حق، قد علم ذلك بالاضطرار عن خير البريـــة، أهـــل العلم بالأخبار النبوية»[1].

وحكى في موطن آخر مقالة نفاة الرؤية، واحتجاجهم بانتفاء لازمها وهو الجهـــة، وأتبعه بجواب مفصّل، ثم قال: «هذا مما خاطبت به غير واحد من الـــشيعة والمعتزلـــة، فنفعه الله به، وانكشف بسبب هذا التفصيل مـــا وقـــع فـــي هـــذا المقـــام مـــن الاشـــتباه والتعطيل»[2].

إن أول ما اهتم به ابن تيمية في هذه المناظرة هو نقض أصل أقوال هؤلاء النفاة، وأنه مبني على مقدمتين، وكل مقدمة تؤدي بالضرورة إلى نتائج باطلة، ليس ذلك فحسب، بل أراد- رحمه الله- أن يعلمنا المنهج الصحيح في المناظرة، ويوضح ذلك بقوله: «فـــإن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عنـــدك ابتـــداءً أخـــذ يعارضك فيه، لمّا قام في نفسه من الشبهة، فينبغي إذا كان المناظر مُدّعيًا أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق، فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقدًا نقيض الحـــق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل، أمحه أولاً، ثـــم اكتـــب فيـــه الحق»[3].

١- ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ج١/ص٤٧٦.

٢- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٢/ص٣٤٩.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٧/ ص١٥٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فيستفاد من كلام شيخ الإسلام أن البناء الصحيح للمناظرة يقوم على ثلاث مراحل هي على الترتيب التالي:

المرحلة الأولى: البحث عن أصل مذهب المخالف وما بني عليه، وفهمه فهمًا جيدًا، ثم **المرحلة الثانية:** البدء بنقض وهدم أصل المذهب، عن طريق ذكر المقدمات التي ينبني عليها، وما يترتب على ذلك من نتائج باطلة، وبعد الانتهاء من المرحلتين السابقتين يكون المخالف فيها قد أصبح فارغًا من تلك الشبهات التي ينازع فيها، وهنا تبدأ **المرحلة الثالثة** في المناظرة: وهي بيان الحق والصواب الذي يعتقده المناظِر.

وأما البناء غير السليم للمناظرة بأن يبدأ بإظهار الحق مباشرة قبل إزالة الشبهات من قلب المخالف؛ لأنها تمثل غطاءً يحجب رؤية الحق والصواب، بل تكون هذه الشبهات حافزًا له للدفاع عن معتقداته وأفكاره، فلابد من إزالتها أولاً، ثم بيان الحق ثانيًا.

والحقيقة أن هنالك الكثير من الدروس والفوائد من مناظرات شيخ الإسلام، وهي أرض خصبة لطلاب العلم في تعلم الجدل والحوار والنقاش والبحث والاستنباط والفهم والتعليل ونحو ذلك، والمستغرب في عصرنا الحاضر عدم الاهتمام بالمناظرة كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويعود ذلك لأسباب كثيرة، منها: عدم إتقان هذا الفن من كثير من العلماء، مما يلفت الانتباه إلى ضرورة العناية بالمناظرة من قبل المربين من العلماء والدعاة، والأساتذة في الجامعات والمحافل العلمية، وتمرين الطلبة عليها، وعلى أساليبها وطرقها؛ لتكون وسيلة فاعلة في نشر الخير، والدفاع عن الحق، ومواجهة الشبهات والضلالات، كما يحسن أن تدرس هذه المناظرات كأحد المساقات؛ لما فيها من الفوائد النافعة، ورد الشبهات والادعاءات الكاذبة عن دين الإسلام.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وهنا يجب التنبيه من خطورة إساءة استخدام المناظرة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فقد حذر شيخ الإسلام من عدم امتلاك المناظر للمؤهلات التي تضمن نجاحه في مناظرته؛ لأن ذلك يؤدي إلى مفاسد كثيرة، وتفوق أهل الباطل على أهل الخير، وقد أنكر ابن تيمية على العديد من العلماء مناظراتهم لأهل الباطل، ومن ذلك قوله: «... ومن لم يهتد لهذا كالشهرستاني والرازي والآمدي ونحوهم، فهم ناظروا الفلاسفة مناظرة ضعيفة، ولم يثبتوا فساد أصولهم، كما بيّن ذلك أئمة النظر الذين هم أجلّ منهم، وسلم هؤلاء الفلاسفة مقدمات باطلة استزلوهم بها عن أشياء من الحق»[1].

المطلب السادس: الكتابة والتأليف

تعد الكتابة من أشهر الوسائل في التاريخ الإنساني، وقد عني بها العلماء قديمًا وحديثًا؛ فهي وسيلتهم في نقل أفكارهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم ومشاعرهم من العقول والنفوس إلى صفحات الورق المصقول، وإخراجها من اللامحسوس إلى المرئي والملموس، وتفريغها من ذاكرة العقل إلى ورقات الكتاب، فلولا الكتابة لمَا وصلنا علم العلماء، وفكر المفكرين، وثقافة المثقفين، فالكتاب مرآة صاحبه، فالقارئ يستشعر من خلاله تصورات كاتبه وأحاسيسه ومشاعره، ومعتقدات مؤلفه، فهذه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية جعلته حيًا بيننا لمن أراد أن يتعرف على حياة أحد علماء الأمة ومجدديها.

١- ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ج١/ص٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وتقاس ثقافة الأمم باعتنائها بالكتب، واهتمامها بالمطالعة، وعدد القراء، وساعات القراءة، وإذا أردت أن تعرف ثقافة أمة من الأمم فطالع كتبها، ومن هنا يجب التنبه لدور الكتاب وأثره في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهو يخاطب طبقة وفئة مهمة من المجتمع لها دور بارز في توجيه ثقافته وأفكاره، ألا وهي طبقة المثقفين، الذين يمثلون نخبة المجتمع وقادته، فمتى صلحت هذه الفئة كان لها أثر في صلاح المجتمع، ومتى فسدت كان لها أثر في فساد المجتمع.

وأما ابن تيمية، فكان متميزًا في الكتابة والتأليف كمًا ونوعًا، وتصنيفًا وترتيبًا وتنظيمًا، ومضمونًا ومحتوى، وأقر له كثير من علماء عصره بالإمامة فيهما، قال الذهبي عن مصنفاته: «أثنى عليها الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان»[1]، وقال الشيخ كمال الدين الزملكاني – وهو من مخالفيه– في مدحه لحسن تصنيفه: «وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والتقسيم والتبيين»[2].

وله قدرة فائقة في الكتابة والتأليف في دقائق المسائل، ويصف ابن عبد الهادي هذه المقدرة بقوله: «ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر، فكتب فيها مجلدة كبيرة، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود، فكتب فيها مجلدة كبيرة، ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة، ولا طوّل بتخليط الكلام والدخول في

١- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤/ ص١٤٩٧.

٢- ناصر الدمشقي، الرد الوافر، ص٥٨، ومرعي بن يوسف، الشهادة الزكية، ص٣٦، وابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٨٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

شيء، والخروج من شيء، وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها»[1].

وساعد ابن تيمية في كثرة الكتابة والتأليف مجموعة من الصفات تميز بها، منهـا: سرعة الحفظ، وقلة النسيان، ويصف البزار هذه الصفات في ابن تيمية فيقول: «وكان الله قد خصه بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان، لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء- غالبًا- إلا ويبقى على خاطره أما بلفظه أو معناه»[2].

ومنها اجتهاده ومثابرته في طلب العلم، وملازمة أهله، يقول البزار: «وكان العلـم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره»[3]، ويقول ابن عبد الهادي: «لا تكاد نفسه تشبع مـن العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث»[4].

وأخصب فترات عمر ابن تيمية في التأليف كانت بعد قدومه إلـى دمـشق مـن مصر، في أول ذي القعدة سنة ٧١٢ هـ، وفي هذه الفترة حصل له استقرار، فألف كثيرًا من كتبه[5]، فقد تجاوزت تصانيفه أربعة آلاف كراس، حيث كان يكتب في اليوم والليـل من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصول، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحوًا مـن أربعة كراريس أو أزيد[6].

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٤.

٢- البزار، الأعلام العلية، ص١٨.

٣- المرجع السابق، ص١٨.

٤- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢١.

٥- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص١٦٧، وابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٢١.

٦- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٩- ٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ويقول البزار: «وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبًا أحد؛ لأنها كثيرة جدًا، كبارًا وصغارًا، وهي منشورة في البلدان، فقلّ بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه»[1].

والملفت للنظر أن هذا الكم الهائل من الكتابة والتأليف لابن تيمية لم يؤثر على جودة التأليف وحسنه، والإحاطة بالمسائل العلمية وضبطها وكتابتها من حفظه، يقول ابن عبد الهادي: «وللشيخ- رحمه الله- من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط، ولا أعلم أحدًا من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريبًا من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثيرًا منها صنفه في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب»[2].

ومن أسباب تميز كتب ابن تيمية ومؤلفاته تنوع موضوعاتها، فله كتب في العقيدة والتفسير والفقه وأصول الفقه والفتاوى والأخلاق والطب والسياسة والمنطق والقصص وغير ذلك، فهي مؤلفات شمولية يجمع بينها هدف واحد هو الدفاع عن الإسلام، والذود عنه، ونشره بين الناس، وبيان حقيقته لهم، وجوهره ومبادئه وأحكامه وأخلاقه ونحو ذلك.

وتمثل كتب ابن تيمية ومؤلفاته تراثًا قيّمًا للباحثين والمثقفين للاستفادة منها، والانتفاع بها في ميادين العلم المختلفة، فقد ذكر بعض الباحثين أنه قد أُلّف في ابن تيمية

١- البزار، الأعلام العلية، ص٢٣.

٢- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، ما بين رسالة وكتاب وبحث ورسالة دكتوراة وماجستير وبحوث جامعية[1].

وجمع ابن عبد الهادي في كتابه العقود الدرية مؤلفات ابن تيمية في التفسير والفقه والأصول وغيرها[2]، وأشار إلى ما فيها من فوائد لطلاب العلم، وقد تيسر لنا في هذه الأيام الحصول على كافة كتب ابن تيمية من خلال الأقراص المستخدمة في جهاز الحاسوب، حيث تجعل مهمة البحث سهلة ميسورة، وتختَصِر على طالب العلم الوقت والجهد في البحث عن مسألة من المسائل.

وفي هذه الكتب القيّمة مخزون ضخم من المعارف والعلوم يصعب الحديث عنه بالتفصيل في هذه الورقات، وما أحدثته هذه الكتب من ثروة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يمكن تجاهله، فكم من سؤال تمت الإجابة عليه! وكم من شبهة فنّدت! وكم من ضلالة قمعت! وكم من انحرافات حذرت! ومن غموض وإبهام أزالت! وكم من منكر نهت عنه، ومعروف دعت إليه وغير ذلك! حيث لا يمكن حصر الفوائد من هذه الكتب القيمة التي هي ميراث ضخم، فجزى الله شيخ الإسلام خير الجزاء على ما قدم لهذه الأمة.

ومما سبق يتبين لنا أن الكتابة كانت عند ابن تيمية من أقوى أسلحته، وأعظم وسائله في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فكان لا يترك صغيرة ولا كبيرة تمر عليه إلا سجّلها، ولا يسأل عن سؤال إلا دونه، ولا يدور بينه وبين خصومه نقاش إلا كتبه، حتى

١- انظر: كتاب عائض القرني، إطلالة على ساحل ابن تيمية، ص٤.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٢- ٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ترك لنا هذا التراث الضخم، وهذا من أفضل ما يعين الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ويحفظ عليه منهجه وعلمه، وطريقته في البيان والجدل والمناظرة والفهم، فينتفع به الآخرين في حياته وبعد موته، وهذا منهج تربوي نادر سطّره شيخ الإسلام للأمة، وخاصة لعلمائها وطلبة العلم، ومن لهم جهود خيرة، وأفعال حسنة قد ينتفع بها من يأتي بعدهم.

المطلب السابع: الرسائل الشخصية

وجَدَ ابن تيمية في الرسائل وسيلة من وسائل التواصل بينه وبين الحكام والأمراء والعلماء والأصدقاء والأهل والأقارب، سيما في تلك الأوقات التي لم يتمكن فيها من التواصل المباشر معهم؛ بسبب السفر، أو الحبس، أو بعد المسافة، وأدت الرسائل دورًا بارزًا في دعوته، وفي أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر.

وتعد رسائل شيخ الإسلام عند كثير من العلماء وطلبة العلم والباحثين ثروة علمية غزيرة؛ لما اشتملت عليه من مناقشات علمية، وجوانب فكرية، ونواحٍ تربوية، وقضايا اجتماعية، ومسائل فقهية، وفتاوى شرعية، ودعوات إصلاحية، وردود جليلة على أهل الفرق والطوائف والبدع، وتميزت مجمل رسائله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للأمة، وحب الخير، والحرص عليه، واحترام الآخرين وتقديرهم، والإشادة بأهل العلم والفضل من العلماء.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ويصعب في مثل هذه الدراسة الإحاطة برسائل ابن تيمية لكثرتها: كالرسائل التي كانت جوابًا لسؤال، أو تضمنت فتوى على مسألة ما، ولطولها: كالرسائل التي تناولت الرد على أهل الفرق والطوائف، يقول ابن عبد الهادي: «ورسائل كثيرة كتبها إلى الصلحاء من إخوانه: من مصر إلى دمشق، ومن دمشق إلى غيرها، ومن السجن، شيء كثير يحتوي على مجلدات»[1].

ولهذا اخترت بعض الرسائل التي كتبها شيخ الإسلام إلى الحكام والعلماء والأفراد والأقارب وتلاميذه وأصحابه، واختصرتها بذكر مَن أرسلت إليه ومضمونها، وذلك على النحو التالي:

أولاً- نماذج من رسائل ابن تيمية إلى السلاطين والحكام:

رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر:

وهي رسالة أرسلها بعد وقعة جبل كسروان، يذكر فيها ما أنعم الله على السلطان وعلى أهل الإسلام بسبب فتوح الجبل المذكور[2]، وتضمنت الرسالة الثناء على الملك

١- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٦٧.

٢- طرف من هذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، من الداعي أحمد ابن تيمية إلى سلطان المسلمين ومن أيد الله في دولته الدين، وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله، ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيا به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذل به أهل الكفر والفسوق والعصيان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين، محمد عبده ورسوله، وعلى آله وسلم تسليمًا، أما بعد، فقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعمًا لم تعهد في القرون الخالية، وجدد الإسلام في أيامه تجديدًا بانت فضيلته على الدول الماضية، وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأولين والآخرين، الذي أخبر فيه عن

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الناصر ومدحه فيما يقوم به من محاربة الكفار والخوارج والمارقين، ويبين فيها مشروعية حربه للباطنيين من النصيرية وأضرابهم ممن كانوا بجبال سوريا ولبنان، وذكر فيها ما أنعم الله ﷻ به على الإسلام وأهله في هذه الغزوة، وما يسعى إليه من الإصلاح، وإقامة شرع الله.

ولا يخفى ما في هذه الرسالة من اندفاع شيخ الإسلام، وإصراره على الوقوف في وجه الفرق الضالة والمنحرفة بشتى الوسائل الممكنة عنده، فقد عبّر في هذه الرسالة عن مدى سعادته وفرحه بنصر الله، وامتدح السلطان وأثنى عليه، وعبر عن تشجيعه وتحفيزه له على مواجهة مثل هذه الفرق الباطلة، والوقوف في وجهها، مبيناً فساد عقائدهم وأفكارهم المضللة، ومذكرًا بنعم الله وفضله، ووجوب التوجه إليه بالحمد والشكر، والدعاء للسلطان والمسلمين بالنصر على الأعداء، وكل ذلك دائر في دائرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

كما أرسل شيخ الإسلام عدة رسائل أخرى إلى الملوك والسلاطين والأمراء في مصر والشام، يحثهم فيها على التزام الشريعة والعدل، ونصرة الدين بإقامة الجهاد في سبيل الله، وينكر بعض المنكرات الظاهرة، وبعض رسائله تحمل أخبارًا ومعلومات عن أمور حدثت، ووقائع وقعت، يخبر كيف صارت ومبرراتها ونتائجها، ويقترح بعض

تجديد الدين في رءوس المئين، والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين، وذلك أن السلطان أتم الله نعمته حصل للأمة بيمن ولايته، وحسن نيته، وصحة إسلامه وعقيدته، وبركة إيمانه ومعرفته، وفضل همته وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين، وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين من جهاد أعداء الله المارين..". (ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٩٨-١٩٩).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الاقتراحات التي تخدم صالح الأمة، وتنصر الملة، وتقمع أهل البدعة، ويكون فيها عز السلطان في الدنيا والدين.

ومن الرسائل التي أرسلها إلى السلاطين والأمراء[1]:

- ❖ رسالة أرسلها إلى ملك مصر.
- ❖ رسالة أرسلها إلى ملك حماة.
- ❖ رسالة أرسلها إلى الأمراء الكبار في مصر والشام.
- ❖ رسالة إلى ملوك العرب.
- ❖ رسالة كتبها إلى ملك قبرص في مصالح المسلمين تتضمن علومًا نافعة.

ثانيًا- نماذج من رسائل شيخ الإسلام إلى العلماء:

أرسل ابن تيمية إلى الشيخ نصر المنبجي رسالة نفيسة في الرد على أهل الحلول والاتحاد، فبعد أن أثنى على الشيخ وامتدحه، وبيّن فضله ومكانته، وأشاد بمواقفه الشجاعة في الرد على أهل الحلول والاتحاد، شرع في كشف حقيقة هؤلاء الضالين، والرد على أباطيلهم، وأفكارهم المنحرفة، وعقيدتهم الفاسدة، ومحذرًا منهم، ومن خطورة ما يدعون إليه من منكرات وضلالات[2].

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٦٦-٦٧.

٢- هي رسالة طويلة يقول في مقدمتها: "من أحمد ابن تيمية إلى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر... أما بعد، فإن الله تعالى قد أنعم على الشيخ، وأنعم به نعمة باطنة وظاهرة في الدين والدنيا، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا منزلة عليه، ومودة إليه، لما منحه الله تعالى به من حسن المعرفة والقصد، فإن العلم والإرادة أصل لطريق

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وبعث شيخ الإسلام عددًا آخر من الرسائل إلى إخوانه العلماء، تضمنت مواضيع علمية قيمة، ومناقشات عقلية فريدة، وإشادة بالعلماء ومكانتهم، والثناء عليهم، وتعريفًا بمراده وقصده في دعوته وعقيدته، ومن هذه الرسائل التي بعثها للعلماء ما يلي[1]:

- ❖ رسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهي، وتسمى المدنية.
- ❖ رسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنبجي، تسمى المصرية.
- ❖ رسالة كتبها إلى القاضي شمس الدين السروجي، قاضي الحنفية بمصر.
- ❖ رسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر، تسمى العدوية.

الهدى...فالشيخ أحسن الله إليه قد جعل فيه من النور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والإرادة ما تتميز به المحبة الإيمانية المحمدية المفصلة، عن المجملة المشتركة، وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية، وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابًا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال هؤلاء، ولم يكن القصد به- والله- واحدًا بعينه، وإنما الشيخ هو مجمع المؤمنين، فعلينا أن نعينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به، وأما هؤلاء الاتحادية، فقد أرسل إلي الداعي من طلب كشف حقيقة أمرهم، وقد كتبت في ذلك كتابًا ربما يرسل إلى الشيخ، وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل، والله تعالى يعلم، وكفى به عليمًا، لولا أني أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق الله تعالى السالكين إليه من أعظم الواجبات- وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين- لم يكن للمؤمنين بالله ورسوله حاجة إلى أن تكشف أسرار الطريق، وتهتك أستارها، ولكن أما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام، فما علمت أحدًا سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة، وهذا الكتاب مع أني قد أطلت فيه الكلام على الشيخ أيده الله تعالى بالإسلام، ونفع المسلمين ببركة أنفاسه، وحسن مقاصده، ونور قلبه، فإن ما فيه نكت مختصرة، فلا يمكن شرح هذه الأشياء في كتاب، ولكن ذكرت للشيخ- أحسن الله تعالى إليه- ما اقتضى الحال أن أذكره، وحامل الكتاب مستوفز عجلان. وأنا أسأل الله العظيم أن يصلح أمر المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويهديهم إلى ما يقربهم، وأن يجعل الشيخ من دعاة الخير..." (ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، ج١/ ص١٦١.

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

❖ رسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير، وأرسل إليهم أجوبة في مجلد غير الرسالة.

❖ رسائل أخرى إلى عدد من القضاة والعلماء.

وهذه الرسائل المرسلة للعلماء فيها معانٍ تربوية وعلمية وأخوية، مع ما فيها من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتي يندر من يوجد اليوم من العلماء من يتواصل مع إخوانه بمثل هذه الرسائل، وبهذا العدد والنوعية التي هي بمثابة التصحيح لمسيرة الدعوة، والتجديد لها، وإعانة العلماء على ذلك.

ثالثًا- نماذج من رسائل شيخ الإسلام إلى الأقارب والأصحاب:

وبعث شيخ الإسلام رسالة إلى أقاربه وأصحابه بدمشق يذكر ما هو فيه من النعم العظيمة، والخير الكثير، ويطلب فيه جملة من كتب العلم ليرسلوا بها إليه، وقال في هذه الرسالة: «تعلمون أنا- بحمد الله- في نعم عظيمة، ومنن جسيمة، وآلاء متكاثرة، وأيادٍ متظاهرة لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال، ولا تدور لهم في خيال، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.. والحق دائمًا في انتصار وعلو وازدياد، والباطل في انخفاض وسفال ونفاد، وقد أخضع الله رقاب الخصوم، وأذلهم غاية الذل، وطلب أكابرهم من السِّلم والانقياد ما يطول وصفه»[1].

ولا يفوتنا في هذا المقام التنبيه على هذه اللفتة التربوية المهمة للعلماء والدعاة الذين انقطعوا عن أقاربهم، بحجة الدعوة إلى الله، والانخراط في برامج وأنشطة أنست بعضهم

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أقاربه، أو جعلته يُقصّر في بر والديه، بينما نرى شيخ الإسلام لا يواصلهم فقط، بل ينقل لهم أخبار دعوته، وما آلت إليه الأمور، وهذا يدل على قربه منهم وإن تباعدت البلاد، فهذه الرسالة دليل على حرص ابن تيمية على التواصل مع أقاربه وأصحابه، وعدم الانقطاع عنهم، فلم يُغيره البعد أو الفراق، ولم يشغله عن القيام بواجب التواصل معهم، وتفقد أحوالهم، والحرص على مصالحهم، وبث روح الألفة والمودة والمحبة، وكعادته لا تخلو رسالة من رسائله من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بوجه ما، ففي هذه الرسالة طمأن أقاربه وأصحابه على ثبات موقفه في مواجهة الفرق الباطلة، وأنه لا يغير من موقفه وإن سجن وعذب، حتى يُظهر الله الحق، ويبطل الباطل.

رابعًا- نماذج من رسائل شيخ الإسلام إلى تلاميذه:

رسالة من ابن تيمية إلى تلاميذه يرسلها من داخل سجنه، وقد كتبها بالفحم بعد مصادرة أوراقه وكتبه، ومنْعه من الكتابة، وفي هذه الرسالة يظهر مدى حرص شيخ الإسلام على التواصل مع تلاميذه، وتعليمهم، والإجابة على تساؤلاتهم حتى وهو في السجن، وحثهم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى التعاون والتآزر في مواجهة أهل البدع والضلال، شارحًا لهم أصول عقائدهم وطرقهم، والرد على أباطيلهم[1].

١- ونص هذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونحن لله الحمد والشكر في نعم متزايدة متوافرة، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الإسلام، وهو من نعم الله العظام، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، فإن الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله الذي بعث به رسله وأنزل كتبه، ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق، والذي سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد وحده، بل مخالفة لدين جميع المرسلين إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد خاتم النبيين ﷺ أجمعين، وكانوا قد سعوا في ألا يظهر من جهة حزب الله ورسوله

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بلغت هذه الرسالة التربوية قيمتها وأثرها في رفع المعنويات، وروح التفاؤل والاطمئنان، حيث يقول وهو في سجنه: «ونحن- لله الحمد والشكر- في نعم متزايدة متوافرة»[1]، وجميع ما يفعله فيه نصرة الإسلام، وهو من نعم الله العظام، ثم يقول: «ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه»[2].

خامسًا- نماذج من رسائل شيخ الإسلام إلى الأفراد:

ومن مراسلات شيخ الإسلام مع الأفراد رسالته إلى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين، أو وحدة الوجود، وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية:

فقال في مطلع هذه الرسالة: «فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان حقيقة مذهب هؤلاء الاتحادية، وبيان بطلانه، وإنك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قولهم، وضاق الوقت بك عن استتمام بقية البيان، وأعجلك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر

خطاب ولا كتاب، وجزعوا من ظهور الأخنائية، فاستعملهم الله تعالى حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم وألزمهم بتفتيشه ومطالعته، ومقصودهم إظهار عيوبه وما يحتجون به، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم، وظهر لهم جهلهم وكذبهم وعجزهم، وشاع هذا في الأرض، وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يظهروا علينا فيه عيبًا في الشرع والدين، بل غاية ما عندهم أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين، والمخلوق- كائنًا من كان- إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله لم يجب، بل ولا يجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين، وقول القائل: إنه يُظهر البدع كلامٌ يظهر فساده لكل مستبصر، ويعلم أن الأمر بالعكس، فإن الذي يظهر البدعة إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك، وهو أولى بالجهل بسنة الرسول واتباع هواهم بغير هدى من الله، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم، وأبعد عن الهوى والغرض في مخالفتها، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين، وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم، ولتعلمن نبأه بعد حين. (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٥٧-٥٨).

١- المرجع السابق، ج٢٨/ ص٥٧.

٢- المرجع السابق، ج٢٨/ ص٥٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قولهم ممن ينتسب إلى الطريقة والحقيقة، وصادف مني كتابك موقعًا، ووجد محلاً قابلاً، وقد كتبت إليك بما أرجو من الله أن ينفع به المؤمنين، ويدفع به بأس هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات في كتابه المبين، ويبين الفرق بين ما عليه أهل التحقيق واليقين، من أهل العلم والمعرفة المهتدين، وبين ما عليه هؤلاء الزنادقة المتشبهين بالعارفين»[1].

وفي مثل هذا النوع من الرسائل دليل على سعة صدر شيخ الإسلام، وبعد نظرته، وإخلاصه في دعوته وتواضعه، فالدعوة بما فيها من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا تقتصر على علية القوم، أو الأكابر من الملوك والأمراء وغيرهم، وهذا ما يغفل عنه بعض العلماء، من عدم نزولهم للشارع، والاستماع إلى بسطاء الناس وفقرائهم، والقرب من عامتهم.

سادسًا- نماذج من رسائل شيخ الإسلام إلى عموم المسلمين:

أرسل ابن تيمية رسالة إلى عموم المسلمين والمؤمنين استنفرهم فيها إلى الجهاد والقتال في سبيل الله، ومواجهة التتار والتصدي لهم، وذكّرهم بأنهم خير أمة أمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، وحثهم على المبادرة والمسارعة لنصرة أهل حلب، ونهاهم عن التخاذل والتقاعس، مذكرًا إياهم بأحوال النبي ﷺ وصحابته الكرام.

حيث يقول- رحمه الله- في مطلع هذه الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين، أحسن الله إليهم في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليهم

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢/ ص١٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

نعمه باطنة وظاهرة، ونصرهم نصرًا عزيزًا، وفتح عليهم فتحًا كبيرًا، وجعل لهم من لدنه سلطانًا نصيرًا، وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين إلى صراطه المستقيم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

ولم تغب عن ابن تيمية بلد من بلاد المسلمين إلا وأرسل إلى أهلها رسالة يأمرهم فيها بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ومنها[2]:

- ❖ رسالة كتبها إلى أهل بغداد.
- ❖ رسالة كتبها إلى أهل البصرة.
- ❖ رسالة إلى البحرين.
- ❖ رسالة إلى ثغور الشام.
- ❖ رسالة إلى طرابلس.
- ❖ رسالة إلى طبرستان وجيلان.

يقول ابن عبد الهادي بعد أن ذكر هذه الرسائل: «وغيرها بمصالح تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[3].

وكان لهذه الرسائل وغيرها آثار طيبة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد اشتملت على فوائد جمّة، وخير كثير في دعوة الناس، والتواصل معهم، وحثهم على فعل

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص٢٨/ ص٤١٠.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٦٦.

٣- المرجع السابق، ص٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الخير، والبعد عن الشر، واحتوت على علوم وفيرة، ومعارف غزيرة عكف طلاب العلم على الاستفادة منها، وتضمنت ردودًا قوية على أهل البدع والفرق والطوائف، وحرص تلاميذه وأهل العلم على حفظها وكتابتها ونقلها؛ لتنتفع منها الأجيال، وتستفيد من خيرها الوفير.

المطلب الثامن: الحسبة

يطلق العلماء الحسبة[1] على معنيين: أحدهما موسع، والآخر مضيق، ومفهومها المضيق يطلق على الوظيفة الدينية التي يُسندها الإمام للمحتسب، وبأنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[2]، فالمعروف الذي يأمر به المحتسب المعين هو ما أمر به الشرع الإسلامي، والمنكر الذي ينهي عنه المحتسب هو ما ينهى عنه الشرع الإسلامي[3].

١- للحسبة في اللغة عدة معان، أهمها: العد والحساب، والكفاية، والإنكار، والتدبير، والاختبار، فالحسبة في معناها اللغوي تدل على الإنكار المصاحب للنظر والتدبر في المآلات، والنتائج المترتبة على ذلك. (انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حسب)، ج١/ص٣١٤-٣١٧، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢/ص٥٩، والفيومي، المصباح المنير، ص١٨٥؛ والأصفهاني، المفردات، ص١١٦.

٢- انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ج١/ ص٤٨٦.

٣- فرّق الماوردي بين المحتسب والمتطوع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تسعة أوجه: أحدها أن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية، وفرضه على غيره داخل في فروض الكفاية، والثاني: أن قيام المحتسب به من حقوق تصرفه الذي لا يجوز أن يتشاغل عنه، وقيام المتطوع به من نوافل عمله الذي يجوز أن يتشاغل عنه بغيره، والثالث: أنه منصوب للاستعداء إليه فيما يجب إنكاره، وليس المتطوع منصوبًا للاستعداء، والرابع: أن على المحتسب إجابة من استعداه، وليس على المتطوع إجابته، والخامس: أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها، ويفحص عما ترك

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وعليه فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعم من الحسبة، فيؤمر بالمعروف وإن لم يترك، وينهى عن المنكر وإن لم يرتكب، كما يفعل الخطباء والعلماء من الحث على فعل الخيرات، وترك المنكرات، فتكون الحسبة أخص، من حيث إنها تتعلق بالمعروف الذي ترك، والمنكر الذي فعل.

وأما مفهوم الحسبة الموسع، فيشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل مشروع يفعل لله تعالى: كالأذان والإقامة وأداء الشهادة مع كثرة تعدادها، ولهذا قيل: القضاء باب من أبواب الحسبة، وقيل القضاء جزء من أجزاء الاحتساب[1].

وبناء على المفهوم الموسع للحسبة يمكن تقسيمها إلى قسمين: رسمية، وتطوعية، فالحسبة الرسمية هي التي تخضع لسيادة الدولة، فهي كما قال ابن خلدون: «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين الإمام، حيث يعين لذلك من يراه أهلاً لها يسمى المُحتسب، وهو يقوم باتخاذ الأعوان والمساعدين للقيام بتلك المهمة»[2].

وأما الحسبة التطوعية أو غير الرسمية "الأهلية"، فهي التي طلبتها الشريعة

من المعروف الظاهر ليأمر بإقامته، وليس على غيره من المتطوعة بحث ولا فحص، والسادس: أن له أن يتخذ على إنكاره أعوانًا؛ لأنه عمل هو له منصوب، وإليه مندوب، ليكون له أقهر، وعليه أقدر، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعوانًا، والسابع: أن له أن يعزر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز إلى الحدود، وليس للمتطوع أن يعزر على منكر، والثامن: أن له أن يرتزق على حسبته من بيت المال، ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق على إنكار منكر، والتاسع: أن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع: كالمقاعد في الأسواق، وإخراج الأجنحة. (انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ج١/ص٤٨٦).

١- انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣/ ص٣١٥.

٢- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١/ ص١١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الإسلامية من المكلفين؛ لأن المسلم مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي فرض كفاية، ويطلق الفقهاء على من يقوم بهذه الحسبة: "المتطوع"[1]، فهو يقوم بها من دون تعيين، ولا تولية من ولي الأمر، وإنما يستند في القيام بها على الواجب الشرعي الملقى على عاتقه، وهو واجب عام يرتبط بالوسع، ويؤديه كل مسلم حسب طاقته وقدرته تقربًا إلى الله، ومعذرة إليه.

وقد شرع ابن تيمية في الحديث عن الحسبة بقوله: «أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله ﷻ إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون»[2].

وبهذا الكلام الدقيق يحدد شيخ الإسلام الهدف من مشروعية نظام الحسبة في الإسلام، والمقصد منه في كونه وسيلة تتسم بصفة الرسمية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، شأنه شأن جميع الأنظمة الإسلامية الأخرى التي تهدف إلى أن الدين كله لله، ويقول في موضع آخر: «وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى، مثل: نيابة السلطنة، والصغرى مثل: ولاية الشرطة، وولاية الحكم، أو ولاية المال، وهي ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة»[3].

١- انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ج١/ ص٤٨٦.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص٦١.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالحسبة ولاية دينية، يقوم ولي الأمر بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله[1]؛ صيانةً للمجتمع من الانحراف، وحمايةً للدين من الضياع، وتحقيقًا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقًا لشرع الله تعالى، فالمحتسب رجل معين أو مكلف من الحاكم أو السلطان يقوم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيأمر بالصلاة والزكاة وبالجُمَع والجماعات، وبصدق الحديث، وأداء الأمانات، وينهى عن المنكر من الكذب والخيانة، وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات والديانات ونحو ذلك[2].

فالمعروف الذي يأمر به المحتسب المعين هو ما أمرت به الشريعة الغراء، والمنكر الذي ينهى عنه المحتسب هو ما نهت عنه، وتقتصر وظيفة المحتسب على ما يُظهر الناس من منكرات من غير تجسس عليهم، وذلك بأن تكون مكشوفة للمحتسب إما بالرؤية، أو السماع، أو النقل الموثوق الذي يقوم مقامهما، كما قال ابن تيمية: «إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه»[3].

وبعد أن قرر ابن تيمية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره، قرر أن القدرة هي السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم[4]، فتتحمل الدولة بكل مؤسساتها وأجهزتها وأنظمتها العبء الأكبر في القيام

١- انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ج١/ص٤٨٦، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص٢٨٤.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٧١.

٣- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٣/ص٤٣٤.

٤- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص٦٤- ٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإشراف عليه؛ لأن جميع الولايات هي في الأصل ولاية شرعية، ومناصب دينية[1].

وتهدف هذه الولايات إلى حماية الدين، والذود عن عقيدة الناس وشريعتهم، وقد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]، وبقاء الدولة الإسلامية مرهون ببقاء الشريعة، فإن ذهبت الشريعة فذهاب الدولة خير من بقائها؛ لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾[3]، فنصر هذه الأمة وتمكينها يكون لنصرتها دين الله تعالى، وأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، فإذا ذهب دينها انتصر عليها أعداؤها؛ لغلبة السلاح، وذهاب نصرة الله لمن بدّل دينه.

فالحسبة تُخرج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دائرة العمل التطوعي والاجتماعي، والمبادرة الفردية فحسب، إلى دائرة العمل الرسمي، وتجعل منه نظامًا فاعلاً في نشر الخير، ومحاربة الشر، تشرف عليه الدولة، وتتبناه كنظام رسمي، وأشار ابن تيمية إلى هذه الحقيقة عند حديثه عن طبيعة المجتمع الإنساني، فهو مجتمع مدني بالطبع، ويكون فيه المجتمع مطيعًا للآمر بتلك المقاصد الحسنة، والناهي عن تلك المفاسد القبيحة، فجميع بني آدم

١- انظر: المرجع السابق ، ج٢٨/ ص٦٨.

٢- سورة الحج: آية ٤١.

٣ - سورة إبراهيم: آية ٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لابد لهم من طاعة آمر وناهٍ، وإذا كان لابد من طاعة آمر وناهٍ، فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له، وهو الرسول النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل، الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، وذلك هو الواجب على جميع الخلق، وقد أمر الرسول ﷺ أمته بتولية ولاة أمور عليهم يقومون مقامه بهذا الواجب، وأوجب طاعتهم، وجعلها من طاعته، ونهى عن عصيانهم، وجعله من عصيانه.

وأما من الناحية العملية، فقد كان ابن تيمية رمزًا وعلمًا في الحسبة التطوعية والأهلية، ومضربًا للمثل في العمل الاجتماعي قلّ أن تجد له نظيرًا، في مثل حماسته وحرصه الذي كان عليه في نشر الخير، ومحاربة الفساد، فله مواقف شجاعة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر- الحسبة الأهلية- نال بها احترام الناس وتقديرهم، فرأوا فيه مثالاً للعالم العامل، والمجدد المصلح، فكانوا يعبرون عن فرحهم وسعادتهم بمواقفه في إنكار المنكر، ويؤيدونها، ويشاركون فيها، فقد كانوا بأمس الحاجة إليها في الوقت الذي قلّ فيه الناصح للأمة من آمر وناهٍ، وانتشر فيه الفساد والانحراف، يقول ابن كثير: «وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له، ومحبتهم له، وكثرة أتباعه، وقيامه في الحق، وعلمه وعمله»[1].

ومن مواقف ابن تيمية في الحسبة ما فعله وأصحابه بالخمارات والحانات حين كسروا آنية الخمور، وشقوا الظروف، وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المتخذة لهذه الفواحش، ففرح الناس بذلك[1].

ولم يكن شيخ الإسلام يغض طرفًا عن أفعال أهل الفرق الضالة، والبدع المضللة، بل كان يقف في وجههم، ويحرض الناس عليهم، فقد خرج ابن تيمية يومًا ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال فرقة ضالة سكنت جبال الجرد وكسروان، عرفوا بفساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا، حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرًا منهم، فلما وصل ابن تيمية إلى بلادهم، جاء رؤساؤهم إليه فاستتابهم، وبيّن للكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند، ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله[2].

وكانت لشيخ الإسلام شجاعة وجرأة نادرة في الحسبة، فلم يكن يهاب سلطانًا أو نائبًا أو أميرًا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية عند نائب السلطنة بالقصر، فيما يفعلونه من دخولهم في النيران المشتعلة، وأكلهم الحيات، ولبسهم أطواق الحديد في أعناقهم، وتقلدهم السلاسل على مناكبهم، وعمل الأساور الحديد في أيديهم، ولفهم شعورهم وتلبيدها، وقام في ذلك قيامًا عظيمًا بدمشق، وحضر في جماعة إلى النائب وعرفه أن هذه الطائفة مبتدعة، فجمع له ولهم الناس من

١- انظر: المرجع السابق، ج١٤/ ص١٣.

٢- انظر: المرجع السابق، ج١٤/ ص١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

أهل العلم، فكان يومًا مشهودًا كادت أن تقوم فيه فتنة، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع، ونزعهم هذه الهيئات[١].

وأُحضِر مرة إلى ابن تيمية شيخ كان يلبس دلقًا كبيرًا متسعًا جدًا يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق، فتناهبه الناس من كل جانب وقطّعوه حتى لم يدعوا فيه شيئًا، وأمر بحلق رأسه، وكان ذا شعر، وتقليم أظافره وكانت طوالاً جدًا، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة، واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات وغيرها[٢]، وكان قد استتاب إبراهيم المولّه الذي يقال له: القميني، وضربه على ترك الصلوات، ومخالطة القاذورات، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة[٣].

ولم يكن- رحمه الله- يرى منكرًا أو يسمع عنه إلا ويبادر إلى إنكاره وتغييره أينما وُجد، فقد راح مرة إلى مسجد النارنج وأمَر أصحابه ومعهم حجارون بقطْع صخرةٍ كانت هناك بنهر قلوط تزار ويُنذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها، ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرُّها عظيمًا[٤].

وقد كان لهذه المواقف وغيرها أثر طيب في إصلاح المجتمع، ويظهر فيها أهمية الحسبة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر كوسيلة رسمية تشرف عليها الدولة ومؤسساتها، أو وسيلة يقوم بها متطوعون من العلماء والمثقفين والأعضاء الفاعلين فيه:

١- انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١/ ص٣٤٠.

٢- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص٣٩.

٣- انظر: المرجع السابق، ج١٤/ ص١٣٧.

٤- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

كالخطباء والأئمة والإعلاميين وغيرهم، ينظرون في أحوال المجتمع وسلوكيات بعض أفراده، وتصرفات بعض جماعاته التي تضر بأمنه واستقراره، وتهدد مستقبله، وتقف في وجه تقدمه والنهوض به، حيث ينبغي على كل من له القدرة في أي مكان أو تخصص أن يقوم بهذا الواجب العظيم، فالمسؤول في وزارته، والرجل في مؤسسته وشركته، والموظف في الإعلام، والكاتب في الصحافة، والمعتاد دخول مواقع الإنترنت ومنتدياته، كل أولئك عليهم أن يفيدوا الأمة من مواقعهم، ولا يحتقروا جهودهم وإن قلت، ومما ذكرنا من مواقف في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هي في نفس الوقت مواقف تربوية لنا من هذا العالم الرباني الذي نفع الله به أهل عصره، وما زالت الأمة تنهل من بركة علمه، وإخلاص عمله في إصلاح الأمة. رحمه الله رحمة واسعة.

نظر شيخ الإسلام للرحلات كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يرى فيها سبيلاً لنصرة دين الله، والدفاع عنه، ونشره، والدعوة إليه، فهي تمكنه من الالتقاء بالناس ليدعوهم ويرشدهم ويوجههم ويعلمهم، والاجتماع بالعلماء ليحاورهم ويناقشهم، والاتصال بالأمراء والحكام ليعظهم وينصحهم، والجلوس مع أهل الفرق والطوائف ليناظرهم ويجادلهم، ولا يكون ذلك إلا بالرحلة إليهم في أوطانهم ومدنهم وقراهم ومساكنهم.

ويرى- رحمه الله- أن بلاد المسلمين وطن له، وأحب الأرض إليه هي تلك الأرض التي يكون فيها أطوع لله ورسوله، وأنفع لدينه، ولا تتعين أرض يكون مقام

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الإنسان فيها أفضل، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور[1]، وهذا التصور والفهم عند شيخ الإسلام كان سببًا وحافزًا لتنقله بين أرجاء المعمورة، وعدم الاستقرار في بلد من البلدان.

وأوضح ذلك جليًا في رسالته التي أرسلها إلى أمه وهو في مصر، وبيّن فيها أن من منهجه في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يقوم بالرحلات إلى بلاد المسلمين، وأن يقيم فيها، فيقول في هذه الرسالة: «وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لنتزنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور، فإنكم- ولله الحمد- ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرًا واحدًا.. ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، ونحن في كل وقت مهمومون بالسفر»[2].

ومن رحلاته المشهورة رحلته إلى مصر، وكان سببها ما وقع بينه وبعض العلماء من نقاش في بعض موضوعات العقيدة، وفي أسماء الله وصفاته، فطلب السلطان حضور شيخ الإسلام إلى مصر، فخاف نائب السلطنة في دمشق على الشيخ من خصومه هناك، فسعى في إقناعه بالبقاء في دمشق، وترك الارتحال إلى مصر، على أن يقوم بدور

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٨/ ص٢٨٣.

٢- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٧٣- ٢٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الاعتذار عنه، وإقناع السلطان، ولكن ابن تيمية أصر على الذهاب إلى مصر، ورأى أن في ذهابه مصالح كثيرة[1].

ولما توجه الشيخ في اليوم الذي توجه فيه من دمشق كان يومًا مشهودًا، غريب المثل، من كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته، حتى انتشروا من باب داره إلى قريب للجسورة فيما بين دمشق والكسوة، التي هي أول منزلة منها، وهم ما بين باكٍ وحزين، ومتعجب ومتنزه، ومزاحم متغال فيه[2].

وعندما وصل شيخ الإسلام في رحلته هذه إلى مدينة غزة يوم السبت، اغتنم هذه الفرصة، وعمل في جامعها مجلسًا عظيمًا[3]، فجلس مع أهلها، وتحدث معهم، وسمع منهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه العلماء من عدم تفويت الفرص واغتنامها للالتقاء بالناس، والاجتماع بهم، فيعرفون بأنفسهم وبعلمهم وبأفكارهم، ويأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فيحصل باختلاطهم بالناس الخير الكثير، فلعلنا نتعلم من هذا العالم الرباني درسًا مهمًا في الاستفادة من الوقت، واغتنام الفرصة في المرور بالمدن التي قد لا تتكرر زيارتها، وقد لا يوجد بها أحد من العلماء وطلبة العلم، فيكونون بأمس الحاجة لوجود عالم أو طالب علم بينهم- ولو ليوم واحد- يسألونه ما أشكل عليهم من مسائل استعصت عليهم دهرًا، ولم يجدوا لها جوابًا.

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٦٤-٢٦٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٣٣.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ٢٦٥.

٣- ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وليستفد من هذا الدرس التربوي بعض الإخوة من طلبة العلم والدعاة، الذين يذهبون أحياناً في الإجازات الصيفية لبعض البلاد، فيمرون ببعض القرى التي يكثر فيها الجهل والبدع، فتكون فرصة ثمينة لا تعوض للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر الخير.

ولما وصل ابن تيمية إلى القاهرة عُقد له في اليوم التالي من وصوله مجلس في القلعة بعد صلاة الجمعة، جُمع فيه القضاة وأكابر الدولة، ودار بينه وبين القاضي ابن مخلوف المالكي نقاش كان سببًا في دخوله السجن لأكثر من سنة[١].

وعندما أخرج من السجن فرح خلق كثير بخروجه، وسروا بذلك سرورًا عظيمًا، وحزن آخرون وغضبوا[٢].

وقد أثمرت هذه الرحلة خيرًا كثيرًا، فبعد أن أخرج من السجن تمكن الشيخ من الاجتماع بالناس، وعقدت له مجالس كثيرة، واجتمع إليه خلق كثير[٣]، يقول ابن عبد الهادي: «ولم يزل بمصر يعلم الناس ويفتيهم، ويذكر بالله، ويدعو إليه، ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر»[٤].

وضاق بابن تيمية الخصوم لما رأوا المكانة التي وصل إليها في مصر، واجتمع خلق كثير من أهل الخوانق والربط والزوايا، واتفقوا على أن يشكو الشيخ إلى السلطان، فطلع منهم خلق إلى القلعة، وكان منهم خلق تحت القلعة، فكانت لهم ضجة شديدة حتى قال

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٦٦، والذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١/ ص٢٦٨.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٦٩.

٣- انظر: المرجع السابق، ص٢٦٩-٢٧٢.

٤- المرجع السابق، ص٢٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

السلطان: ما لهؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقي الدين ابن تيمية يشكون منه ويقولون: إنه يسب مشايخهم، ويضع من قدرهم عند الناس.

فمازال هؤلاء بالسلطان يكثرون الشكاية منه والملام، وأوسعوا من أجله الكلام، حتى عزم أمره على السفر مرة أخرى إلى بلاد الشام، وفي طريقه رد وحبس بسجن الحاكم بحارة الديلم[1].

واستغل ابن تيمية فترة مكوثه في السجن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحول السجن من مكان للعب الشطرنج والنرد، وتضييع الصلوات، إلى مكان يعج بالصلوات والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح والاستغفار والدعاء وأعمال الخير، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرًا من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلئ منهم[2]، وكيف لا يكون ذلك وهو صاحب مقولته التربوية المشهورة:« ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة[3]».

فلما كثر اجتماع الناس به، وترددهم إليه، ساء ذلك أعداءه، وحصرت صدورهم، فسألوا نقله وترحيله إلى الإسكندرية، فتوجه إليه جماعة من أصحابه، وصار الناس

١- انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٥.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ٢٨٥.

٣ - ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ص٣٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يدخلون إليه، ويقرءون عليه، ويتحدثون معه[1]، ومكث في الإسكندرية ثمانية أشهر مقيمًا ببرجٍ مليحٍ نظيفٍ له شباكان، أحدهما إلى جهة البحر يدخل إليه من شاء، ويتردد إليه الأكابر والأعيان والفقهاء يقرءون عليه، ويبحثون معه، ويستفيدون منه[2].

ثم أعيد إلى القاهرة عندما دخل السلطان الناصر إلى مصر، فخرج معه خلق من أهلها يودعونه، ويسألون الله أن يرده إليهم، وكان وقتًا مشهودًا، ولما وصل القاهرة اجتمع بالسلطان، فأكرمه وتلقاه في مجلس حفل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء، وأصلح بينه وبينهم[3].

ولابن تيمية موقف تربوي لا يُنسى لا يصدر إلا من عالم رباني، ورجل يريد ما عند الله، فقد عفا عن خصومه، بل وحاجج عنهم حتى عفا عنهم السلطان، وذلك عندما جلس مع السلطان الناصر، فأخرج السلطان من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم، فقال رحمه الله: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقًا شديدًا عليهم لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فشرعت في مدحهم، والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكَّنتُ ما عنده عليهم[4].

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٨٨، والذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١/ص٢٦٨.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٩٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٦٠.

٣- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٩٤.

٤- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٩٨-٢٩٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

وسكن ابن تيمية بالقاهرة، وعاد إلى بث العلم ونشره، ونفع الخلق ووعظهم، والاجتهاد في سبل الخير، والناس يجتمعون به، ويقرءون عليه، ويستفتونه، ويجيبهم بالكلام والكتابة، والأمراء والأكابر والناس يترددون إليه[1].

واستمر الشيخ على ذلك حتى قام مجموعة من خصومه بإيذائه في المسجد، وكادت أن تحصل فتنة كبيرة لولا حكمة الشيخ، فقد تعصب له أصحابه، وأرادوا أن ينتقموا له، إلا أنه منعهم وحذرهم، ودار بينه وبين أصحابه جدال حتى خرج من عندهم وهو ينهاهم، فلحق به خلق كثير حتى ضاقت بهم الطرق، فدخل المسجد فصلى ركعتين، فلما سلّم منهما أذن المؤذن بالعصر، فصلى العصر، ثم افتتح بقراءة الحمد لله رب العالمين، ثم تكلم في المسألة التي كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب، فخرج أتباع خصومه وهم يقولون: والله لقد كنا غالطين في هذا الرجل لقيامنا عليه، والله إن الذي يقوله هذا هو الحق. وعفا عمن آذوه[2].

وبذلك يستفيد الطلاب من حكمة العلماء والمربين، فإن الأمور بخواتيمها، فإنهم لما صبروا وسمعوا كلام شيخ الإسلام، عرفوا الحق، وعادوا إليه، واعترفوا بخطئهم، فحصل بذلك خير كثير.

وبعد سوق هذه المقتطفات اليسيرة من رحلات شيخ الإسلام يظهر لنا مدى معاناته فيها، وما وقع له من محن وشدائد، فقد سجن لسنوات، وظُلم من الحكام والأمراء، واجتمع ضده الكثير من العلماء والفقهاء والقضاة، وتآمر عليه الخصوم، وحقد عليه أهل

١- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٢٩٩، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٦٠.

٢- انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٣٠٠-٣٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفرق والطوائف، إلا أن ذلك لم يحد من عزيمته في الترحال والتنقل بين بلاد المسلمين، فقد فتح الله له من أبواب الخير والرحمة والهداية ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، كما قال في رسالته التي أرسلها لأمه، وكان لرحلاته فوائد كثيرة، ومنافع جليلة، ومصالح عديدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى فترة مكوثه في السجن كانت في دعوة الناس وحثهم على الخير، ولما أُخرج منه انطلق إلى الناس يجلس معهم، ويسمع منهم، ويعلمهم ويفقههم، ويصحح ما عندهم من زلات وأخطاء، حتى حاز على رضاهم، ووصل إلى قلوبهم.

ومنها الحكمة في استخدام الوسيلة المناسبة، ومن المعلوم أنّ الزمن يتغير، والوسائل تتنوع، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا أراد أن يكون ناجحًا، فعليه ألا يترك وسيلة لعرض دعوته، وكسب الأنصار لها إلا استعملها، وهو يستفيد من كل ما أتيح له من وسائل حديثة، ومن مستجدات العصر في الدعوة إلى الله؛ فهو يدعو عبر القنوات الفضائية، وعن طريق شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وكل ما يُستجد من وسائل وتقنيات حديثة، ولا يحصر نفسه في دائرة ضيقة من الوسائل، مع الحفاظ على ثوابت الدعوة وأصولها، والداعية الناجح يأخذ بالتنوع في وسائله الدعوية، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، وشعاره: «أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»[1].

١- موقع إخوان أون لاين، ٢٠٠٤/٠١/٠٥م، معالم أساسية لنجاح الداعية، والمجتمع الكويتية، ١٤٢٢/٧/٤هـ، معالم أساسية لانطلاقة الداعية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وأصبح اليوم بإمكان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يصل إلى ملايين الناس بفضل هذه الوسائل الحديثة، والتي ظهرت واخترعت ليس من أجل هذه الغاية، ولكن لمصالح أخرى حسب نوايا مُصنِّعيها، ومع أنّ بعضها استخدم أصلاً لمعارضة الدعوة، والتشكيك في الإسلام شريعة وعقيدة، فالجدير بالآمرين والناهين ألا يقفوا جامدين إزاء هذه الوسائل، التي أصبحت سلاحًا ذا حدّين، فأهل الباطل يستفيدون منها بأقصى ما يستطيعون في نشر باطلهم، لذا فإنّه يجب على الآمرين والناهين أن ينتفعوا ويستفيدوا بالوسائل الحديثة، التي أصبحت في هذا العصر هي وسيلة الاتصال بين العالم، ويمكن القول بأنّ الوسائل الدعوية الحديثة كثيرة جدًا، وربما من الصعب حصرها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الثالث: ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ابن تيمية. وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: ضوابط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حسن القصد والنية.

المطلب الثاني: العلم بما يأمر به وينهى عنه.

المطلب الثالث: الحلم والصبر على تحمل الأذى.

المطلب الرابع: الرفق.

المطلب الخامس: سلوك السبيل القصد (المنهج الصواب).

المبحث الثاني: ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: الموازنة بين المصالح والمفاسد.

المطلب الثالث: تقديم الأهم على المهم.

المطلب الرابع: تقدير العقوبات المناسبة.

المطلب الخامس: عدم الإنكار في مسائل الخلاف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث: آلية الاستفادة من وسائل ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه ثمانية مطالب.

المطلب الأول: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

المطلب الثاني: مجالس الشورى والبرلمانات في بلاد المسلمين وغيرهم.

المطلب الثالث: الدوائر الحكومية.

المطلب الرابع: وسائل الإعلام.

المطلب الخامس: مراعاة قوانين الدول أثناء المرور بها.

المطلب السادس: مراعاة الفتاوى السائدة في البلدان الإسلامية، والعادات والتقاليد لكل بلد.

المطلب السابع: الرحلات وأهميتها كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثامن: البعثات الدبلوماسية في السفارات والطلبة في الجامعات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

تمهيد :

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعود على المجتمع المسلم بآثـــار طيبـــة، وثمار حسنة في تحقيق استقامة المجتمع المسلم بنشر كل فضيلة وخير، وذلك بالأمر بها، ومحاربة كل رذيلة وشر، وذلك بالنهي عنها، وإنما يتحقق ذلك باستخدام وسائل وأساليب مناسبة يختارها الآمر أو الناهي في أمره ونهيه بما يتناسب وحال المأمور والمنهي وفـــق ضوابط ومعايير محددة، فليس كل أحد قادرًا على الأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكـــر على الوجه الصحيح المشروع الذي يتوافق ومقاصد الشريعة ومبادئها العامة بعيدًا عـــن الغلو والتطرف والإفراط والتفريط.

وبعد النظر في كثير من كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية والتأمل فيها يمكن القـــول أن هناك مجموعة من الضوابط حددها رحمه الله فيمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، مستنيرًا بالهدي الرباني والإرشاد النبوي وأقوال العلماء وســـيرتهم، فهـــو لـــم يبتدعها من عند نفسه، بل أبرزها في كتاباته وطبقها في أمره بـــالمعروف ونهيـــه عـــن المنكر، وسيتناول هذا الفصل ضوابط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكـــر، وضـــوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول: ضوابط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حسن القصد والنية.

المطلب الثاني: العلم بما يأمر به وما ينهى عنه.

المطلب الثالث: الحلم والصبر على تحمل الأذى.

المطلب الرابع: الرفق.

المطلب الخامس: سلوك السبيل القصد (المنهج الصواب).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تمهيد:

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد وأن يتحلى بمجموعة من الصفات والخصال تؤهله للقيام بهذا الواجب العظيم، فليس كل أحد يصلح له، فهو صاحب رسالة سامية يؤمن بها، ويدعو إليها بالوسائل الممكنة في تجرد وإخلاص، وهو بمثابة طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، وهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله.

ويجد المتتبع لآراء ابن تيمية أن هناك ضوابطَ خمسةً في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وهي: العلم، والحلم، والصبر، والرفق، وحسن المقصد، وسلوك السبيل القصد، وهذه الأمور ليست أمورًا ثانوية في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، بل هي أمورٌ أساسية وضرورية لابد منها، ولهذا تجده يقول في أكثر من موضع: «فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كلٌّ من الثلاثة لابد أن يكون مُستَصحَبًا في هذه الأحوال»[1].

ولم تكن هذه الضوابط التي سطرها شيخ الإسلام في كتبه ومؤلفاته مجرد شعارات رفعها وأقام عليها الحجج والبراهين، بل تمثل كل ذلك في حياته العملية، وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقد خاصمه أعداؤه مجاهرين بعداوتهم له، ورموه

١- ابن تيمية، الاستقامة، ج٢ /ص٢٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بالشطط والضلال، وكانت بينه وبينهم حرب عوان، نال منهم بالقول والبرهان والصبر والثبات والرفق، ونالوا منه بالزج في غيابات السجن والإيذاء، وتأليب السلطان[1].

وقد نبّه- رحمه الله- إلى أن النفوس تجد صعوبة في اشتراط هذه الخصال في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ولهذا يترك الكثير القيام بهذا الواجب[2]، وقد يترتب على ذلك مضرة أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو أقل، فإن ترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهي عنه معصية، فالمنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار، والمنتقل من معصية إلى معصية كالمنتقل من دين باطل إلى دين باطل، قد يكون الثاني شرًا من الأول، وقد يكون دونه، وقد يكونان سواء، فهكذا تجد المقصر في الأمر والنهي والمعتدي فيه، قد يكون ذنب هذا أعظم، وقد يكون ذنب ذاك أعظم، وقد يكونان سواء[3].

وهذا توجيه تربوي نفيس من شيخ الإسلام لا يكون إلا عن خبرة وممارسة واطّلاع وباع طويل في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، جعله يستخلص هذه النتائج التي قد يغفل عنها بعض الفضلاء، ويقع فيها وهو لا يدرك العواقب. نسأل الله التسديد والتوفيق لكل خير.

كما أن هذه النظرة المتعمقة في أحوال ونفوس الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بين مقصّر في القيام بالأمر والنهي، أو معتد فيه، تدل على أن الأمر ليس بالبساطة

١- انظر: أبو زهرة، ابن تيمية، ص٣٩.

٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٣٣.

٣- انظر: المرجع السابق، ج٢/ص٢٣٣-٢٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

التي قد يظنها بعض الأفراد، بل إن الأمرَ خطرٌ على الرغم من تساهل البعض فيه، من حيث عدم أهلية الكثير للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يستدعي ضرورة التنبيه إلى ذلك، وزيادة الوعي لدى أفراد المجتمع بشروط الآمر والناهي؛ لنحصل على ثمرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الأول: حسن القصد والنية

إن تحلي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بحسن المقصد، وبالنية المحمودة يجعل لأمره ونهيه أثرًا طيبًا في نفس المأمور والمنهي، فليس الدافع مصلحة شخصية، أو أهدافًا ذاتية، أو حبًا للظهور، أو اتباعًا للهوى، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة، فالمسلم إنما يتوجه بعمله إلى الخالق؛ طالبًا الرضا والأجر والثواب منه، ويقصد بأمره ونهيه صلاح وانتفاع المأمور والمنهي، بل والإحسان إلى العباد؛ ليكون قائمًا بحق الله، وحق العباد[1].

وينقل ابن القيم الجوزية وصف كثير من العلماء حسن قصد شيخ الإسلام، وصفاء قلبه، وسلامة صدره في أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وعدم بغضه وكرهه وحقده على مخالفيه، أو أعدائه، بل دعاءه لهم بالهداية والصلاح، فيقول: «وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذًى

١- ابن تيمية، الرد على البكري، ج١/ ص٢١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

له، فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسروا به، ودعوا له، وعظّموا هذه الحال منه. فرحمه الله، ورضي عنه»[1].

فإن مقصود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمومًا تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان[2]، وفي تفسيره على قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [3]، يقول: "يعلمون الحق ويقصدونه، ويرحمون الخلق، وهم أهل صدق وعدل، أعمالهم خالصة لله، صواب موافقة لأمر الله، كما قال تعالى:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[4]، قال الفضيل بن عياض وغيره: «أخلصه وأصوبه، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وهو كما قالوا، فإن هذين الأصلين هما دين الإسلام الذي ارتضاه الله»[5].

فيبين ابن تيمية حقيقة النية المحمودة التي يتقبلها الله، ويثيب عليها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول:« هي أن يراد الله وحده بذلك العمل، والعمل

١- ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢/ ص٣٤٥.
٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج١/ص٣٣٠.
٣- سورة آل عمران: آية ١١٠.
٤- سورة هود: آية ٧.
٥- ابن تيمية، النبوات، ج١/ ص٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المحمود هو الصالح، وهو المأمور به، ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا»، وإذا كان هذا حد كل عمل صالح، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون كذلك، هذا في حق الآمر الناهي بنفسه، ولا يكون عمله صالحًا إن لم يكن بعِلْمٍ وفِقْهٍ، كما قال عمر بن عبد العزيز:« مَنْ عَبَدَ الله بغير علمٍ كان ما يفسد أكثر مما يصلح». وكما في حديث معاذ بن جبل ﷺ:« العلم إمام العمل، والعمل تابعه». وهذا ظاهر، فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعًا للهوى كما تقدم[1]».

ولا يقتصر الأمر على ذلك عند شيخ الإسلام، بل يذهب لأبعد من ذلك في النظر إلى الحالة النفسية والقلبية للآمر والناهي، ويرى أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إنما يأتي نتيجة محبته للمعروف وأهله، وبغضه للمنكر وأهله، وهو موافقٌ لحب الله وبغضه وكرهه[2]، ويقول:«والأمر بالمعروف صادر عن المحبة والإرادة، والنهى عن المنكر صادر عن البغض والكراهة، وكذلك الترغيب في المعروف، والترهيب عن المنكر، والحض على هذا، والزجر عن هذا»[3].

١- ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٢٩-٢٣٠.

٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى، ج٨/ص١٩١.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص٤٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: العلم بما يأمر به وما ينهى عنه

يحتاج القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معرفةً تامةً بالمعروف والمنكر؛ ليكون أمر الآمر ونهي الناهي صالحًا، ولا يكون كذلك إن لم يكن بعلم ودراية[1]، ولأنه إن كان جاهلاً بذلك، فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، ويشمل المعروف كل ما يحبه الله ويرضاه قولاً كان أو فعلاً، ويشمل المنكر كل ما يبغضه الله ويأباه قولاً كان أو فعلاً، وهذا يتطلب بالضرورة العلم بالمعروف والمنكر، بل والتمييز بينهما، فكيف يأمر بالمعروف من لا يعلمه؟! وكيف ينهى عن المنكر من يجهله؟! بل يجب أن يكون أمره ونهيه كما أمر الله ورسوله لا اتباعًا للظن وما تهوى الأنفس[2].

وقد أمر الله (ﷻ) رسوله محمدًا (ﷺ) أن يقول للمشركين: إن دعوته إلى الله، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر هو ومن تبعه ليس عن جهل وضلال وهوى، بل عن يقين وبرهان وعلم، يقول (ﷻ): ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[3]، والبصيرة: المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل[4].

١- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ص٢٣٣، ومجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٦٧.

٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/٢٢٩-٢٣٠، ومجموع الفتاوى، ج٢٨/١٣٤- ١٣٥.

٣- سورة يوسف: آية ١٠٨.

٤- انظر: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد، ج٦/ ص٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن الأدلة التي أوردها ابن تيمية في الاستدلال على ضرورة العلم فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قوله (ﷺ): «ائتمروا[1] بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة[2]، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهنَّ مثل القبض على الجمر، للعامل فيهنَّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»[3][4].

وقد نقل ابن تيمية أن بعض السلف روى عن النبي (ﷺ) قوله: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه»[5]. وكما قال عمر بن عبد العزيز: «من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[6].

١- يقول الأحوذي: "أي امتثلوا، والمعنى: ليأمر بعضكم بعضًا بالمعروف". (الأحوذي، تحفة الأحوذي، ج٨/ص٣٣٦).

٢- يقول الأحوذي:" **شحًا مطاعًا**، أي بخلاً مطاعًا بأن أطاعته نفسك، وطاوعه غيرك، قاله القاري، وفي النهاية هو: أشد البخل، وقيل: البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها والشح عام، وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال وبالمعروف، أي **وهوى للنفس متبوعًا**، وحاصله أن كلاً يتبع هواه، **ودنيا بالقصر**، وهي عبارة عن المال والجاه في الدار الدنية، **مؤثرة**: أي مختارة على أمور الدين". (الأحوذي، تحفة الأحوذي، ج٨/ص٣٣٧).

٣- الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ)، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم (٣٠٥٨)، ج٥/ ص٢٥٧. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقال الألباني: (ضعيف). (الألباني، السلسلة الضعيفة، حديث رقم (١٠٢٥)، ج٣/ ص٢٤).

٤- ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢١٤.

٥- نسب ابن تيمية إلى بعض السلف رفع هذا الأثر إلى النبي (ﷺ)، وذكره القاضي أبو يعلى كما يقول، وبعد طول بحث في كتب الحديث لم أستطع العثور على هذا الأثر مرفوعًا بهذا اللفظ، بل لم أعثر عليه فيها بهذا السياق، إنما أورده ابن تيمية- رحمه الله- في بعض كتبه بهذا اللفظ. (انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٣٣، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٦٧).

٦- المرجعان السابقان.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بل ينظر شيخ الإسلام إلى هذا الأمر من وجهة نظر تربوية ثاقبة، فيربط بين حب الشيء وفعله، وبغض الشيء وتركه، وبين العلم، فيقول: «إن حب الشيء وفعله، وبغض الشيء وتركه لا يكون إلا بعد العلم بهما، حتى يصح القصد إلى فعل المعروف وترك المنكر، فإن ذلك مسبوق بعلمه، فمن لم يعلم الشيء لم يتصور منه حب له ولا بغض، ولا فعل ولا ترك، لكن فعل الشيء والأمر به يقتضي أن يعلم علمًا مفصلاً يمكن معه فعله، والأمر به إذا أمر به مفصلاً»[1].

ويجب التنبيه إلى أن اشتراط العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعني العلم بكل معروف أو بكل منكر؛ لاستحالة تحقق ذلك في كل آمر أو ناهٍ، فليس الآمرون بدرجة واحدة من العلم والمعرفة، وليس كل الناهين بدرجة واحدة من العلم والمعرفة؛ لاختلاف أفهامهم واطلاعهم واهتمامهم، بل يجب العلم فيما يأمر به من المعروف، أو ينهى عنه من المنكر ولو لم يكن عالمًا، فإن لم يكن عالمًا لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم وإن كان عالمًا[2]، ولم تغب هذه الحقيقة عن شيخ الإسلام عندما استدل بالحديث الذي رواه مرفوعًا عن النبي (ﷺ): «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فما ينهى عنه»[3].

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص٣٣٧.

٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٣٠.

٣- سبق تخريجه، ص١٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الحلم والصبر على تحمل الأذى

قد يتعرض الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إلى أذى من المأمور أو المنهي، ففي هذه الحالة كيف يتصرف الآمر أو الناهي؟ هل يترك أمره ونهيه؟ أو يرد الأذى ويدافع عن نفسه؟ أو يصبر ويتحمل الأذى؟ وما النتائج المترتبة على كل حالة؟

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الآمر والناهي لابد أن يتصف بالحلم والصبر عند أمره ونهيه، فإن لم يتصف بذلك كان ما يفسد أكثر مما يصلح[1]، وهو بذلك ينظر إلى النتائج المترتبة على ذلك؛ فإن كان أمره ونهيه دون صبر وحلم، فالواجب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ لا فائدة منه، بل قد يترتب على أمره ونهيه مفاسد كثيرة، مذكرًا بالأجر والثواب العظيم؛ فإن أعمال البر كلما عظمت كان الصبر عليها أعظم مما دونها[2]، فمصلحة الأمر والنهي لا تتم إلا بالصبر والحلم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[3].

وساق- رحمه الله- جملة من الأدلة الدالة على ضرورة تحلي الآمر والناهي بالحلم والصبر، كما وصى لقمان ابنه في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ

١- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٣١، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٣٦.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص١٠/ ص٥٧٦.

٣- انظر: المرجع السابق، ج٢٨/ ص١٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

﴿ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1]، فيجب على من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور أو المنهي، فإنه كثيرًا ما يحصل له الأذى بذلك[2].

وإذا حصل من المأمور أو المنهي أذى جسدي، فهل للآمر أو الناهي أن يدفع عن نفسه ما يضره، كما يدفع الإنسان عن نفسه الصائل، ومثاله: إذا أراد المأمور أو المنهي ضربه، أو أخذ ماله ونحو ذلك وهو قادر على دفعه، فيرى- رحمه الله- أن له دفعه عنه، بخلاف ما إذا وقع الأذى وتاب منه، فإن هذا مقام الصبر والحلم والكمال في هذا الباب[3].

بل ينظر- رحمه الله- إلى هذه المسألة من وجهة نظر أخرى يظهر فيها بُعد نظره، ودقة تأمله، من حيث اعتقاد المأمور والمنهي، فالكافر والفاسق والعاصي والمبتدع والمرتد والباغي المعتدي وهو متأول ويعتقد أنه على حق، إن تابوا وقبلوا الحق من الآمر الناهي لم يعاقبوا بما اعتدوا به عليه، فإن لم يتوبوا كانوا مطلوبين بحق الله المتضمن حق الآدمي بما يستحقون من العقوبة.

وهذا بخلاف من يعتقد أن ما يفعله بغي وعدوان، كالمسلم إذا ظلم المسلم، والذمي إذا ظلم المسلم، والمرتد الذي أتلف مال غيره وليس بمحارب، بل هو في الظاهر مسلم أو معاهد، فإن هؤلاء يضمنون ما أتلفوه باتفاق.

١- سورة لقمان: آية ١٧.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٦٧.

٣- انظر: المرجع السابق، ج١٥/ ص١٦٨-١٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وإن كان المأمور المنهي مجتهدًا مخطئًا، فهذا قد عفا الله عنه خطأه، فإذا حصل بسبب اجتهاده الخاطئ أذى للآمر الناهي بغير حق، فهو كالحاكم إذا اجتهد فأخطأ، وكان في ذلك ما هو أذى للمسلم، أو كالشاهد أو كالمفتي؛ فإذا كان الخطأ لم يتبين لذلك المجتهد المخطئ، كان هذا مما ابتلى الله به هذا الآمر الناهي؛ فيجب عليه الصبر[1].

وقد بسط ابن تيمية القول في هذه المسألة، وهي مسألة لها بعدها التربوي في تهيئة نفسية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر للصبر والعفو، وضرورة بعد أفقه، وسعة صدره لمن يأمرهم وينهاهم على اختلاف عقائدهم وتوجهاتهم، وهي مسألة نفيسة قلما يُتَعَرَّضُ لها بهذا البعد التربوي والفقهي الدقيق.

المطلب الرابع: الرفق

إن نفوس البشر عادة تميل إلى من يتلطف بها ويرفق، وتنفر ممن يعنفها ويكون عليها شديدًا؛ لهذا أثنى الله على نبيه باللين والرحمة للمؤمنين في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[2]، فلم يكن (ﷺ) غليظًا ولا شديدًا ولا جافيًا في المعاشرة قولاً أو فعلاً، بل رحيمًا لينًا لطيفًا بالمؤمنين؛ فجمع شملهم، ووحد كلمتهم، ولولا ذلك

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٧١-١٧٢.

٢- سورة آل عمران: آية ١٥٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لتفرق المؤمنون وانفضوا من حول الرسول (ﷺ)؛ يقول ابن كثير: «أي لو كنت سيئ الكلام، قاسي القلب عليهم؛ لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم»[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يصدر ممن يرفق بالناس، ويحلم عليهم، ويترفق لهم، ويتلطف بهم، ويصفح عنهم، ليأخذوا بدعوته للمعروف ونهيه عن المنكر.

ولهذا شدد شيخ الإسلام على هذه الحقيقة في أكثر من موضع، مؤكدًا أن الرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، وحتى لا يكون أمره ونهيه منكرًا[3]، بل يجب أن يكون رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه[4]؛ لأنه أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود[5].

ويستفيض ابن تيمية في ذكر الأدلة الدالة على الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأكيد ضرورتها، منها قول النبي (ﷺ): «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ»[6]، وقال (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ

١- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١/ ص٤٢١.

٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢١٠.

٣- انظر: المرجع السابق، ج٢/ ص٢١١.

٤- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٣٣، ومجموع الفتاوى، ج٥/ ص١٦٧.

٥- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٦٧.

٦- أخرجه مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٤)، ج٤/ ص٢٠٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كُلِّهِ»[1]، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على الْعُنْفِ وما لا يعطي على ما سِوَاهُ»[2].

وينظر إلى هذه الحقيقة من وجهة تربوية، فيشبه من لم يكن رفيقًا بالطبيب الـذي لا رفق فيه، فيغلظ على المريض فلا يقبل منه، والمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولـد، وقد قال تعالى لموسى وهـارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [3][4]، وهذا مع من ادَّعَى أنه إله يعبد، وعلى ما هو عليه من الجبروت والكبر وأعظم الكفر، إلا أن الله جعل مخاطبته باللين.

١- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، حـديث رقـم (٥٦٧٨) ج٥/ ص٢٢٤٢.

٢- أخرجه مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البر والـصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٢٥٩٣)، ج٤/ ص٢٠٠٣.

٣- سورة طه: آية ٤٤.

٤- انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٥/ ص٢٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الخامس: سلوك السبيل القصد (المنهج الصواب)

إن سلوك السبيل القصد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يكون باتباع النهج الرباني، والإرشاد النبوي، بعيدًا عن اتباع الهوى والرؤية الشخصية الضيقة، والاجتهادات الذاتية، والتوجهات الحزبية والمذهبية، والأفكار الفلسفية والعقلية، بل يسلك الآمر والناهي الطريق الصحيح، والنهج السليم، والسبيل القصد، بعيدًا عن الكذب والغلو والتطرف والإفراط والتفريط، فالغاية لا تبرر الوسيلة، شعاره في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، وقوله (ﷻ): ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[2]. فلهذا يجب على المؤمن أن يستعين بالله، ويتوكل عليه في أن يقيم قلبه ولا يزيغه، ويثبته على الهدى والتقوى، ولا يتبع الهوى[3].

١- سورة النحل: آية ١٢٥.

٢- سورة الشورى: آية ١٥.

٣- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد اهتم شيخ الإسلام بهذه القضية كثيرًا في كتاباته، مؤكدًا أن أمر الآمر للناس بالمعروف ونهيه لهم عن المنكر يجب أن يكون صالحًا، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود[1]، فلا كذب ولا غلو ولا إفراط ولا تفريط في الأمر والنهي الذي ليس فيه منفعة له، بل فيه ضرر على أهل الإفك والعدوان، بل كما أمر الله ورسوله بالاعتدال والتوسط، لا اتباعًا للظن وما تهوى الأنفس[2].

وفي معرض مناقشته لبعض المنكرات التي ظهرت بعد القرون الفاضلة أنكر – رحمه الله – على المنكرين الذين يبالغون ويتجاوزون الحد المطلوب لإنكار تلك المنكرات، فيقول:« فأقام الله في الأمة من أنكر ذلك كما هو سنة الله في هذه الأمة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، وهؤلاء المنكرون فيهم المقتصد في إنكاره ومنهم المتأول بزيادة في الإنكار غير مشروعة»[3].

ويقول رحمه الله: « ولابد مع ذلك أن يكون العمل صالحًا، وهو ما أمر الله به ورسوله، وهو الطاعة؛ فكل طاعة عمل صالح، وكل عمل صالح طاعة، وهو العمل المشروع المسنون؛ إذ المشروع المسنون هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب، وهو العمل الصالح، وهو الحسن، وهو البر، وهو الخير، وضده المعصية والعمل الفاسد

١- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٣٠، ومجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٣٦.

٢- انظر: ابن تيمية، الرد على البكري، ج١/ ص٢٢٨، والنبوات، ج١/ ص٩٣.

٣- ابن تيمية، الاستقامة، ج١/ ص٣٠٤- ٣٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

والسيئة والفجور والظلم.. فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون هكذا في حق نفسه، ولا يكون عمله صالحًا إن لم يكن بعلم وفقه»[1].

وقد سبق أن أحسن الأعمال أخلصها وأصوبها، أخلصها بأن تكون لله، وأصوبها أن تكون موافقة لأمر الله والسنة، وهذان الأصلان هما الشريعة[2]، والشريعة مثل سفينة نوح (عليه السلام): من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، فكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله، فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم، وقد قال تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3][4].

وقد حذر- رحمه الله- من أن يختلط الحق بالباطل، والخير بالشر، والصالح بالطالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون أمره ونهيه دينًا مبتدعًا ضالاً باطلاً، فمن لم تكن نيته صالحة، وعمله عملاً صالحًا لوجه الله، وإلا كان عملاً فاسدًا أو لغير وجه الله وهو الباطل[5]، بل يجب أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع[6].

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٣٥.
٢- انظر: ابن تيمية، النبوات، ج١/ ص٩٣، والاستقامة، ج٢/ ص٢٢٦.
٣- سورة الأنعام: آية ١٥٣.
٤- انظر: ابن تيمية، درء التعارض، ج١/ ص٢٣٤.
٥- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٩٤.
٦- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٤/ ص٤٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد أفاد وأجاد شيخ الإسلام بهذا التوجيه العلمي التربوي الذي قلما تجده بهذا البسط والتوضيح والتأكيد؛ لما له من أهمية بالغة لمن سلك الطريق السوي، وأراد الوصول إلى المقصود، فإن في التعثر في ذلك، والانحراف عن السبيل الخسارة للعبد، ولذلك كان حرص ابن تيمية على التأكيد على هذه المسألة، وتحريرها بهذه الدقة، وجودة العبارة، وهو من أنفس ما كتب في هذه المسألة، ولعل شيخ الإسلام نبه إلى خطورة المسألة، وضرورة تنبيه السالكين هذا الطريق لتجنب الغفلة، ولزوم الحذر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثاني: ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التدرج في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر

المطلب الثاني: الموازنة بين المصالح والمفاسد

المطلب الثالث: تقديم الأهم على المهم

المطلب الرابع: تقدير العقوبات المناسبة

المطلب الخامس: عدم الإنكار في مسائل الخلاف

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الأول: التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن من يتأمل في رسالة الإسلام منذ بعثته (ﷺ) إلى أن اختاره الله (ﷻ) إلى جـــواره، يتضح له أن التدرج كـــان السمة البارزة في مسار الرسالة؛ فإن السور المكية تـــضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمـــن لا يقـــر بأصل الرسالة.

وأما السور المدنية، ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله، ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين، كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد، وأحكـــام المنـــاكح ونحوها، وأحكام الأموال بالعدل كالبيع، والإحسان كالصدقة، والظلم كالربا، وغير ذلـــك مما هو من تمام الدين[1].

وقد أمر الرسول (ﷺ) صحابته الكرام بالتدرج في دعوة الناس، وفي أمرهم بـــالمعروف ونهيهم عن المنكر، كما قال (عليه السلام) لمعاذ (رضي الله عنه): «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطـــاعوا لـــذلك، فـــأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لـــذلك، فـــأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإيـــاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٦٠.

٢- أخرجه مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإســـلام، حديث رقم (١٩)، ج١/ ص٥٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد يترتب على التفريط بالتدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثار سلبية، ونتائج عكسية لا تحمد عقباها؛ لأن الإلزام بغتة في وقت واحد من غير تدرج فيه مشقة عظيمة على المأمورين والمنهيين. وهنا يشير شيخ الإسلام إلى قول عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) عندما جاءها عراقي، فقالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى أبدًا[1].

وهنا يصف ابن تيمية حال الآمر والناهي في التدرج في أمره ونهيه، فهو تارة يأمر، وتارة ينهى، وتارة يبيح، وتارة يسكت عن الأمر والنهي أو الإباحة.. كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء، والنهي عن أشياء، حتى علا الإسلام وظهر[2].

ويقصد بالتدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبليغه للمأمورين والمنهيين شيئًا فشيئًا، ومن ذلك البدء بالأهم ثم المهم، واتخاذ الوسائل المناسبة، ولقد أدرك العلماء سر التدرج في التشريع، ولاحظوا أنه أدعى إلى قبول الناس للأحكام، بخلاف ما لو نزل التشريع دفعة واحدة، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لنزول الفرائض والنواهي جملة واحدة، يثقل على النفس حملها[3].

١- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢٤٠.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٠/ ص٥٨-٥٩.

٣- انظر: صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، ص ١٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ويقرر ابن تيمية أن للآمر والناهي تأخير الأمر والنهي لأشياء إلى وقت التمكن، كما أخر الله (ﷻ) إنزال آيات، وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله[١].

والنفوس المستمعة أصناف، منها المُعْرِض الممتنع، ومنها من سمع ولم يفقه المعنى، ومنها من فقه ولم يقبل، ومنها من سمع سماع فقه وقبول[٢]، وهذا الأخير هو الذي تتهيأ نفوسه للقبول: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٣].

وقد فعل (ﷻ) ذلك؛ فقد كان يهيئ نفوس المشركين للسماع، فحينما جاءه عتبة بن ربيعة لمفاوضته (ﷻ) هيأ نفسه للسماع أولاً بقوله: "قد فرغت يا أبا الوليد؟". قال: نعم، فقال: "يا ابن أخي فاسمع"[٤]، ولا يخفى على أحد ما في هذه الملاطفة والتكنية من تهيئة للنفس للسماع، وحين اتكأ عتبة على يديه وقال: أسمع. أسمعه (ﷻ) صدرًا من سورة فصلت[٥].

فدل ذلك على أن الاهتمام بالمأمورين والمنهيين مدخل طبيعي إلى نفوسهم[٦]، وله أثره في تلقي النفوس للمعروف وقبوله، وبغض المنكر وتركه[٧]، وبالتدرج في الأمر

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٠/ ص٥٩.
٢- انظر: ابن تيمية، التفسير الكبير، ج٦/ ص٣١٢.
٣- سورة المائدة: آية ٨٣.
٤- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥/ ص٣٣٨.
٥- انظر: المرجع السابق، ج٥/ ص٣٣٨، ٣٣٩.
٦- انظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، ص٤٥٩.
٧- انظر: المرجع السابق، ص٢٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بالمعروف والنهي عن المنكر تظهر أهمية مراعاة العوامل النفسية لدى المأمورين والمنهيين[1]، وبهذا الاهتمام وتلك المراعاة تتهيأ نفوسهم لسماع الحق، ومن ثَمَّ قبوله.

وتقتضي الحكمة أحيانًا في دعوة المسلمين إلى بعض أمور الشريعة في هذا العصر مراعاة جانب مهم، وهو تأخير إنكار المنكر إذا اقتضت حاجة الدعوة ذلك، يقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين: «تأخير إنكار المنكر قد يكون من باب استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد يكون هذا الرجل الفاعل للمنكر لا يناسب أن ننكر عليه في هذا الوقت بالذات، لكن سأحتفظ لنفسي بحق الإنكار عليه، ودعوته إلى الحق في وقت يكون أنسب، وهذا في الحقيقة طريق صحيح، فإن هذا الدين- كما نعلم جميعًا- بدأ بالتدرج شيئًا فشيئًا، فأقر الناس على ما كانوا يفعلونه من أمور كانت في النهاية حرامًا من أجل المصلحة، فهذه الخمر مثلاً بَيَّنَ الله تعالى لعباده أن فيها إثمًا كبيرًا ومنافع للناس، وأن إثمها أكبر من نفعها، وبقي الناس عليها حتى نزلت آخر آية فيها تحرمها بتاتًا، فإذا رأى إنسان من المصلحة ألا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت، أو في هذا المكان، ويؤخر دعوته في وقت آخر، أو في مكان آخر؛ لأنه يرى أن ذلك أصلح أو أنفع، فهذا لا بأس به»[2].

١- انظر: المرجع السابق، ص٢٥٧، ٢٥٨.

٢- محمد بن صالح العثيمين، الصحوة الإسلامية.. ضوابط وتوجيهات، جمع وترتيب: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ص١٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الموازنة بين المصالح والمفاسد

إن الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل مصلحة ذلك المعروف، والنهي عن المنكر وسيلة إلى دفع مفسدة ذلك المنكر[1]، وتتفاوت رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتفاوت رتب المأمور به في المصالح، والمنهي عنه في المفاسد[2]، ويسبب هذا التفاوت تزاحمًا في المصالح والمفاسد، أو تعارضًا، ففي مثل هذه الحالات لابد من الموازنة بين المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أشار شيخ الإسلام- رحمه الله- إلى ضرورة هذه الموازنة بين المصالح والمفاسد عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: «فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزمًا من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعًا»[3]، ويعلل ذلك بقوله: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد

١- انظر: عز الدين بن عبد السلام، الفوائد في اختصار المقاصد، ج١/ ص١٤٠.

٢- انظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج١/ ص٤٧.

٣- ابن تيمية، الاستقامة، ج١/ ص٣٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به»[1].

ومن أوجه التوازن عند شيخ الإسلام ألا يؤدي أمره بطاعة فعلاً لمعصية أكبر منها، فيترك الأمر بها دفعًا لوقوع تلك المعصية، ومثل أن يكون في نهيه عن بعض المنكرات ترك لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرات، فيسكت عن النهي خوفًا أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر[2].

فتارة تقتضي المصلحة أن يأمر بالمعروف، وتارة تقتضي المصلحة أن ينهى عن منكر، وتارة تقتضي المصلحة السكوت عن الأمر والنهي، ومن ذلك الأمر بالصلاح الخالص أو الراجح، أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح بحسب الإمكان، فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن إما لجهله وإما لظلمه، ولا يمكن إزالة جهله وظلمه، فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه، كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت[3].

ويستخدم- رحمه الله- الكثير من العبارات الدالة على ضرورة مراعاة فقه المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول مثلاً: «لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه»[4]، وقوله: «ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير

١- ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢١١.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٠/ ص٥٨.

٣- انظر: المرجع السابق، ج٢٠/ ص٥٨-٥٩.

٤- المرجع السابق، ج١٤/ ص٤٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

منكر»[1]، وقوله: «إذا لم يَزُلِ المنكر إلا بما هو أنكر منه صار إزالته على هذا الوجه منكرًا، وإذا لم يحصل المعروف إلا بمنكر مفسدته أعظم من مصلحة ذلك المعروف كان تحصيل ذلك المعروف على هذا الوجه منكرًا»[2]، ويقول كذلك: «لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه، أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه»[3].

وعند الخوض في مسألة تعارض أو تزاحم المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجب الرجوع إلى القاعدة العامة في الترجيح بين المصالح والمفاسد، ولهذا نجد شيخ الإسلام يقول: «ويجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لِتَحَصُّلِ مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته»[4].

وعلى هذا، إذا كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، وإن كان المنكر أغلب نَهَى عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٢٦.

٢- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤/ص٥٣٦.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص١٣٠.

٤- ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ ص٢١٦، ومجموع الفتاوى، ج٢٨/ص١٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما، ولم ينه عنهما[1].

ومن الأمثلة التي ساقها- رحمه الله- على ذلك، أن أئمة السنة كرهوا القتال في الفتنة التي يسميها كثير من أهل الأهواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك إذا كان يوجب فتنة هي أعظم فسادًا مما في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لم يدفع أدنى الفسادين بأعلاهما، بل يدفع أعلاهما باحتمال أدناهما[2].

ومن ذلك أنه مر هو وأصحابه في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معه؛ فأنكر عليهم، وقال: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم[3].

وهذا باب واسع كما يقول- رحمه الله- ولهذا يجب على الآمر الناهي أن يكون على علم ودراية في الموازنة بين المصالح والمفاسد في الأمر والنهي؛ لعظم شأنه، وكثرة فوائده ومنافعه.

١- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج٢/ص٢١٧، ٢١٨.

٢- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج١/ص٣٣٠.

٣- انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٣/ ص٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث: تقديم الأهم على المهم

سبق أن ذكرت أن هناك تفاوتًا في رتب المعروف المأمور به، ورتب المنهي عنه من وجوه عدة، وهذا يوجب تقديم الأهم على المهم، والمهم على ما هو دونه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالداعي ينبغي أن يكون سعيه في تقديم الأهم على المهم من مصالح المسلمين العامة[1]، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف، وكذلك تتفاوت رتب المنكر المنهي عنه، فالنهي عن الكفر أفضل من كل نهي، والنهي عن الكبائر أفضل من النهي عن الصغائر، والنهي عن كل كبيرة أفضل من النهي عما دونها، فتترتب فضائل الأمر والنهي على رتب المصالح والمفاسد[2].

فيجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون مرتبًا للأولويات، ومتمرسًا في معرفة الأولى فالأولى، وقد سار الأنبياء جميعًا على هذا النهج في دعوتهم إلى الله، فأمروا بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ونهوا عن الشرك والبدع والشعوذة، وأمروا بالفروض ثم بالسنن، ونهوا عن المحرمات ثم المكروهات؛ كما قال تعالى:

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص٥٦٦، والرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١/ ص٤٨٢٦.

٢- انظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج١/ ص١٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، وقد سار خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد (ﷺ) على نهج إخوانه المرسلين (عليهم السلام)؛ فقد بدأ بما بدأ به أنبياء الله، وانطلق من حيث انطلقوا، إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، قال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فإن المطلوب من الداعين إلى الله تعالى، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أن يوجهوا جهودهم ويولوا اهتمامهم بمنهج الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في الدعوة إلى الله تعالى، فيدعوا الناس إلى التوحيد أولاً، وقبل أي شيء، وليكن شغلهم الشاغل هو تصحيح العقيدة، وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ولا يعني هذا الكلام إهمال الجوانب الأخرى بحال من الأحوال، ولكن يجب أن ينال الأولوية في الدعوة إلى الله (ﷻ)، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وعليه، يمكن اتباع بعض القواعد العامة في التمييز بين الأهم والمهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه القواعد ما يأتي:

١- سورة النحل: آية ٣٦.

٢- سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢،١٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

أولاً: يقدم الأمر بالفرائض على الأمر بالنوافل، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «وإنما تكون النوافل بعد الفرائض»[1]، ويقول: «وهذا لا ينافي من أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، مع أن هذا لو كان معارضًا للأول لوجب تقديم الأول؛ لأنه أثبت وأشهر»[2]، وعلى ذلك يقدم الأمر بأداء الصلوات المفروضة على الأمر بالصلوات المسنونة، ويقدم الأمر بأداء الزكاة المفروضة على الأمر بالصدقة المتطوعة، ويقدم الأمر بصيام شهر رمضان على الأمر بأداء صوم التطوع، وهكذا.. لكن مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق بين الأمرين، فالأول: الأمر على سبيل الوجوب، والثاني: الأمر على سبيل الاستحباب والندب.

ثانيًا: يقدم النهي عن الكبائر على النهي عن الصغائر، يقول العز بن عبد السلام: «والنهي عن الكبائر أفضل من النهي عن الصغائر، والنهي عن كل كبيرة أفضل من النهي عما دونها، وكذلك الأمر بما تركه كبيرة أفضل من الأمر بما تركه صغيرة»[3].

ثالثًا: يقدم الأمر بالتوحيد وأصول العقيدة على الأمر بالفروع؛ إذ لا يُدْعَى إلى الفرع من لا يقر بالأصل[4]، يقول العز بن عبد السلام: «فالأمر بالإيمان أفضل من كل أمر، والنهي عن الكفر أفضل من كل نهي»[5].

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢/ ص٢٢٥.

٢- ابن تيمية، أسباب رفع العقوبة، ج١/ ص١٩.

٣- العز بن عبد السلام، القواعد الصغرى، ج١/ ص٤٤.

٤- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٥/ ص١٦٠.

٥- العز بن عبد السلام، القواعد الصغرى، ج١/ ص٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولهذا تجد شيخ الإسلام يفاضل بين رتب المعروف والمنكر في أكثر من موضع، فيقول مثلاً: «وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر»[1].

ويقول كذلك: «فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه»[2].

والحقيقة أن مثل هذه الأدبيات- إن صح التعبير- لتغيب عن كثير من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فتجدهم لا يراعونها في أمرهم ونهيهم، في حين تمثل مثل هذه الأسس، أو هذه الضوابط سبيلاً لنجاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٢٦.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٢٩-١٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المطلب الرابع: تقدير العقوبات المناسبة

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون بالحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما بين الله ذلك في قوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1]، فالحكمة وحسن الأسلوب واللطافة، مع إيضاح الحق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير عنف وقسوة، هو الأصل في الأحوال الطبيعية، وعندما يسود النظام والأمن في المجتمع، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس؛ لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم، وهو مستلزم للأذى من الناس؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة[2].

والدولة الإسلامية مطالبة بالمحافظة على نظامها، وعلى تطبيق شرع الله فيها، وردع المتجاوزين لحدود الله، والمعتدين على خلق الله وزجرهم، فلا يخلو مجتمع من المجتمعات من بعض الأفراد الأشرار الذين يعتدون على حقوق الآخرين، والذين لا تنفع معهم الحكمة والموعظة الحسنة، فلابد من وضع عقوبات رادعة وزاجرة لمثل هؤلاء؛

١- سورة النحل: آية ١٢٥.

٢- انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج١/ ص٤٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لحفظ نظام الدولة وحقوق الناس؛ ولنشر الأمن والأمان والطمأنينة بين أفراد المجتمع المسلم، يقول ابن تيمية: "ومن لم يأتمر بما أمره الله به، وينته عما نهى الله عنه، بل يرد على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإنه يعاقب العقوبة الشرعية التي توجب له ولأمثاله أداء الواجبات، وترك المحرمات[١].

ويبين شيخ الإسلام أن تقدير العقوبات المناسبة على المعتدين سبيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن مقادير العقوبات على مقادير الجرائم[٢]، ويجعل أعلى العقوبات في مقابلة أرفع الجنايات، وأوسطها في مقابلة أوسطها، وأدناها في مقابلة أدناها[٣]، والأمر والنهي لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية على ترك الواجبات وفعل المحرمات، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[٤].

وتوكل مهمة إقامة الحدود إلى ولاة الأمور، فليس لأحد أن يفوّض نفسه بالقيام بهذه المهمة الخطيرة، فالدولة هي الجهة الوحيدة المخولة بفرض النظام وتطبيق شرع الله في إقامة العقوبات المقدرة وغير المقدرة المبينة في القرآن والسنة[٥].

ويؤكد- رحمه الله- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بطريقين: طريق لين، وطريق قسوة، أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه؛ فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت،

١- انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٢/ ص٨٦.
٢- انظر: ابن تيمية، الصارم المسلول، ج٣/ ص٨٠٩.
٣- انظر: المرجع السابق، ج٣/ ص٩٠٥.
٤- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٠٧.
٥- انظر: المرجع السابق، ج٢٨/ ص١٠٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وهو المطلوب، وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بتقدير العقوبات المناسبة على المعتدين؛ حتى يعبد الله وحده، وتقام حدوده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه[1]، فالعقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده، فهي صادرة عن رحمة الخلق، وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم، والرحمة لهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض[2].

المطلب الخامس: عدم الإنكار في مسائل الخلاف

الحقيقة أن قضية عدم الإنكار في مسائل الخلاف من القضايا المهمة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يؤدي عدم النظر الصحيح فيها والفهم السليم لها، والجهل بها إلى انحراف قد يكون خطيرًا في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيث اتخاذ كل مذهب أو فرد سلوكًا معاديًا للآخر لمجرد المخالفة في الرأي أو الاجتهاد أو الفهم، وقد يتعصب كل مذهب لفكرِه ومنهجِه وآرائه وفهمِه، وينكر على الآخر فَهمَه واجتهادَه؛ اعتقادًا منهم أن ذلك من إنكار المنكر وهو بعيد كل البعد عن ذلك.

وقبل الخوض في هذه القضية المهمة، يؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "مجموع الفتاوى"، أن جمهور مسائل الفقه التي يحتاج إليها الناس ويفتون بها ثابتة بالنص

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨/ ص١٠٧، والفتاوى الكبرى، ج٦/ ص٩٢.

٢- انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٥/ ص٥٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أو الإجماع، وإنما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج إليه الناس، وهذا موجود في سائر العلوم، وكثيرُ مسائلِ الخلاف هي في أمور قليلة الوقوع ومقدرة، وأما ما لابد للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح، فهو معلوم مقطوع به، وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه، وإخراجه من الفقه قولٌ لم يُعلَم أحدٌ من المتقدمين قاله، ولا احترز بهذا القيد أحد، وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة والحج، واستقبال القبلة، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وتحريم الخمر والفواحش، وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة[1].

وفي هذا الفهم الدقيق لشيخ الإسلام لهذه القضية رد على من يعتقد أن في المسألة غموضًا وإبهامًا في إدراك حقيقة المنكرات والمفاسد التي ينهى عنها، أو حقيقة المعروف والخير الذي يأمر به، بل هي في غالبها مما علم من الدين بالضرورة، أو قد ورد فيها نص واضح، أو إجماع، أو دليل قطعي، وأما بعض المسائل التي قد تشتبه على بعض الأفراد، فهي قليلة، ولا تمس جوهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لوضوح أصل المنكرات والخيرات وأمهاتها.

وقد نظر شيخ الإسلام إلى قضية الإنكار في مسائل الخلاف بنظرة متوازنة من غير إفراط ولا تفريط، فمع معارضته الشديدة للإنكار في مسائل الخلاف، وأنه غير

١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣/ ص١١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

سائغ[1]، يقول أيضًا: «إن القول: لا إنكار في مسائل الخلاف ليس بصحيح من جانب آخر»[2].

بل حذر- رحمه الله- من التغافل عن بعض المسائل الخلافية التي قد تؤدي إلى ظهور بدع كثيرة، وتغير أمور الإسلام، وضعف الخلافة، وظهور بعض المذاهب ذات الفكر المنحرف، كمذهب القرامطة والباطنية والرافضة والمعتزلة، وانتشار بدع متكلمة الصفاتية وغيرهم، ويصير الفقه من باب اتباع الظن وما تهوى الأنفس[3].

وقد تبدو هذه النظرة متناقضة لأول وهلة، ولكن يزول هذا التناقض عند مطالعة قول ابن تيمية في تحديده للمسائل التي يسوغ فيها الإنكار، والمسائل التي لا يسوغ فيها الإنكار، فيقول: «فالإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل، أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنةً, أو إجماعًا قديمًا وجب إنكاره وفاقًا, وإن لم يكن كذلك، فإنه ينكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول المصيب واحد، وهم عامة السلف والفقهاء, وأما العمل، فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره أيضًا بحسب درجات الإنكار.

وأما إذا لم يكن في-المسألة سنة ولا إجماع، ولم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبًا ظاهرًا, مثل حديث صحيح لا معارض من جنسه، وللاجتهاد فيها مساغ، فلا ينكر على من عمل بها مجتهدًا، ويسوغ له الاجتهاد لتعارض الأدلة المتقاربة، أو لخفاء الأدلة فيها، وليس في ذكر كون المسألة قطعية طعن على من خالفها من المجتهدين كسائر

١- انظر: ابن تيمية، إقامة الدليل على إبطال التحليل، ج١/ ص١٠٩.

٢- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٦/ ص٩٦.

٣- انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ج١/ ص٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المسائل التي اختلف فيها السلف»[1]، وإذا كانت المسألة من مسائل الاجتهاد التي شاع فيها النزاع، لم يكن لأحد أن ينكر على الإمام ولا على نائبه من حاكم وغيره، ولا ينقض ما فعله الإمام ونوابه من ذلك[2].

وسئل رحمه الله عمن يقلد بعض العلماء في مسائل الخلاف: فهل ينكر عليه أم يهجر، وكذلك من يعمل بأحد القولين؟

فأجاب: «مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين»[3].

ويؤكد- رحمه الله- ضرورة أن تكون للمسلم شخصيته ودوره في النظر والترجيح، وأن يكون اختياره لأحد الآراء في المسائل الخلافية عن قناعة تامة، وأن يتمسك بالسنن والأحاديث التي لا معارض لها، فلا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد حتى يعلم من أين أخذ قوله[4].

وهنا يجب التأكيد على ضرورة اتباع المنهج العلمي الصحيح المتعارف عليه بين العلماء في مناقشة القضايا الخلافية، من حيث احترام وجهات النظر المختلفة، والآراء

١- ابن تيمية، إقامة الدليل على إبطال التحليل، ج٦/ ص٢٨، والفتاوى الكبرى، ج٦/ ص٩٦.

٢- انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٥/ ص١١٣.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٠/ ص٢٠٧.

٤- انظر: ابن تيمية، إقامة الدليل على إبطال التحليل، ج٦/ ص٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المتعددة في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، وتفهمها إذا كانت مستندة للـدليل العملـي، وأن تكون مناقشة الأقوال والآراء بتجرد تام بعيدًا عن التعصب والهوى.

وقد ألف شيخ الإسلام كتابًا قيّمًا فريدًا في عنوانه ومضمونه أسماه "رفع المـلام عن الأئمة الأعلام"، أوضح فيه أسباب اختلاف العلماء في بعـض المـسائل والقـضايا، ومبرراته ومسوغاته، وعليه يجب احترام كل الآراء التـي لا تتـصادم مـع الـنص أو الإجماع، وتقديرها، وعدم الطعن بها وتعنيف أصحابها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثالث: آلية الاستفادة من وسائل ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الأول: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

المطلب الثاني: مجالس الشورى والبرلمانات في بلاد المسلمين وغيرهم.

المطلب الثالث: الدوائر الحكومية.

المطلب الرابع: وسائل الإعلام.

المطلب الخامس: مراعاة قوانين الدول أثناء المرور بها.

المطلب السادس: مراعاة الفتاوى السائدة في البلدان الإسلامية، والعادات والتقاليد لكل بلد.

المطلب السابع: الرحلات وأهميتها كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثامن: البعثات الدبلوماسية في السفارات والطلبة في الجامعات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تمهيد :

قام ابن تيمية رحمه الله خير قيام وحسب إمكاناته ونفوذه، والمجالات السائدة في عصره، وعلاقاته مع الحكام والعلماء وطلبة العلم، وعامة المسلمين بالأساليب والوسائل المتعددة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ذلك العصر الذي يختلف من حيث الوسائل المحدودة والأساليب المعروفة، ومع ذلك أثّر ذلك التأثير البالغ بل وبقي أثره إلى يومنا هذا، فكيف بنا ونحن في هذا العصر الذي يبعد عن عصر ابن تيمية بأكثر من سبعة قرون تقريبا، ومع هذه الثورة بالذي وصل العالم فيها ذروته في الأساليب العلمية، والوسائل الإعلامية، والمؤسسات والجمعيات الدعوية، والأنظمة الحديثة في الدول من وزارات وهيئات متعددة ومتنوعة، وسفارات في جميع أنحاء العالم، فلو أنها استثمرت بربع طاقتها في الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لآتت من الثمار ما لا يخطر على بال.

ويتأتى ذلك بتوظيف ما يمكن توظيفه وتسخيره من مؤسسات الدول الحديثة ووزاراتها في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-قدر المستطاع- وعلى سبيل المثال:

المطلب الأول: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

١- فيمكن توجيه القائمين عليها بتسخير إمكاناتها في الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال إقامة المؤتمرات والمسابقات وطباعة الكتب والنشرات وإرسال البعثات من الأئمة وإقامة الدورات لهم، فإن تفعيل دور الأوقاف في بلاد المسلمين

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

واجب على القائمين عليها، مستغلين أنهم الجهة التي يمكن أن تتصور هذا الأمر دون أن تُعارض من أحد إلا نادرا.

٢- كذلك يمكن التنسيق مع بعض العلماء أو طلبة العلم المعروفين في إقامة دروس شهرية، ودورات علمية، فإن تنسيق المحاضرات ودعوة الدعاة لإلقاء الدروس والمحاضرات من الأعمال التي لا يختلف عليها بأنها تجدد وتزيد الإيمان في النفوس وهذا يعزز شعور المسئولية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل يقلل من ارتكاب المنكرات وزيادة فعل المعروف والأمر به والدعوة إليه.

المطلب الثاني: مجالس الشورى والبرلمانات في بلاد المسلمين وغيرهم.

١- يجب استغلال هذه المجالس وعدم تركها توجه لغير خدمة الإسلام خاصة التي في بلاد المسلمين وفيها مجالات واسعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن الاستفادة منها في هذا المجال.

سن القوانين وتشريعها وتعديلها بما يخدم الإسلام والمسلمين ويمنع المنكرات أو يقللها والحد منها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

استغلال العلاقات والمكانة النيابية في هذه المجالس لتوجيه كبار المسئولين في الدولة من وزراء ووكلاء أو مدراء وغيرهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحثهم على إقامة هذه الشعيرة بالتي هي أحسن على ما تحت مسئوليتهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الاستفادة من اللقاءات الدورية بين الدول الإسلامية لهذه المجالس ورحلات لجان الصداقة في زيارة الدول غير الإسلامية والتواصل مع الأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية والسؤال عن أحوالهم، كل ذلك استغلالا لهذه المجالس والاستفادة منها.

٢- إقامة المؤتمرات والندوات وعقد اللقاءات والمناظرات ونشرها عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ لتعم الفائدة وعدم الاكتفاء بإقامتها بعيدة عن وسائل الإعلام وهذا ما يميز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العصر.

تأسيس الجمعيات والمبرّات والأندية حسب ما يسمح به قانون الدول؛ فإن بعض الدول المتقدمة والتي تحترم مؤسسات المجتمع تدعم الجمعيات إذا استوفت الشروط القانونية المطلوبة، مهما كان دينها وعقيدتها.

المطلب الثالث: الدوائر الحكومية.

استغلال المصليات المنتشرة في الدوائر الحكومية حيث يجب تفعيلها، وتفعيل دورها بالتنظيم مع المسئولين في الدوائر والمؤسسات الحكومية، وعمل جدول لكل دائرة أو مؤسسة بالتنسيق مع طلبة العلم؛ لإلقاء الكلمات المختصرة جدًا وغير المملة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه المصليات بعد صلاة الظهر وحبذا لو توافق هذا مع توزيع مطويات دعوية أو نشرات توعوية مفيدة.

وحتى يكون العمل مستمراً ومنظماً يجب مراعاة ما يلي :

١. عمل جدول لكل دائرة أو مؤسسة .

٢. أن يحدد لكل دائرة أو مؤسسة يوماً محدداً في كل أسبوع .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٣. أن تحدد المواضيع التي سوف تطرح حتى لا تتكرر .

٤. يوزع الجدول على طلبة العلم ويتم الاتصال بهم للتذكير .

المطلب الرابع: وسائل الإعلام.

١- يمكن التواصل مع القائمين على وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، ومحاولة التأثير على توجهاتهم لخدمة الإسلام وللحد من شر هذه الوسائل ذات الحدَّين.

٢- وبالتواصل معهم يسهل الاستفادة من هذه الوسائل على اختلافها بنشر المقالات في الصحف وحث الدعاة على المساهمة في هذه الصحف في الكتابة وعدم ترك الفراغ لغير المسلمين، أو لذوي التوجهات الغربية من المسلمين غير المصلحين.

٣- الاتفاق مع الصحف لأخذ صفحات للإفتاء أو المسائل الشرعية والتوجيهات الإسلامية كما هو المعمول به في صحفنا الكويتية.

فالتواصل مع وسائل الإعلام عامة حتى غير الإسلامية يخلق جوًّا من التعاون الذي يخدم رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلاد الإسلامية والدعوة الإسلامية في غير بلاد المسلمين. فإن وسائل الإعلام التجارية تسمح بكل جديد وتهدف للتنويع، وهذا ما يفتح الباب للدعاة لاستغلال ذلك.

٤- كما أن اللقاءات مع الشخصيات الإسلامية البارزة عبر الصحف أمر مرغوب فيه من تلك الصحف إلا أنه يشوبه محاذير حاله حال القنوات أيضا التي تعتمد أيضا على التنويع والتجديد في استغلال القنوات ببرامج أسبوعية لمجالس الإفتاء أو مواعظ ودروس من السيرة النبوية لها أثرها البالغ خاصة أن كثيرا من الشعوب حتى

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الإسلامية مغيبة في إعلامها الداخلي عن الشريعة ومبادئها السامية، وما فيها من درر كامنة وكنوز وافرة ومعاني باهرة، ومع ذلك فإن الداعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب عليه أن لا يتأثر بالجو الإعلامي الذي يغلب عليه عدم الانضباط بالضوابط الشرعية الإسلامية، فعليه أن لا يذوب في هذا الإعلام وينسى هويته الإسلامية وما أتى من أجله إلى هذا الإعلام، فظهوره على شاشات الفضائيات يجب أن لا يكون متلبسا بمنكر وإلا فقد ما جاء لأجله.

فلا يجلس مثلا مع امرأة أمام المشاهدين وإذا كانت متبرجة فالأمر أشد والمصيبة أعظم؛ فإن بعض الدعاة يُستدرج، وبعضهم يغفل، وبعضهم لا يبالي بذلك، دون أن يدرك المفاسد التي تقع من ظهوره سواء مع مذيعة القناة أو صورته مع صحفية أثناء مقابلته في إحدى الصحف، وقد يكون الأمر متعمدًا من هذه الوسيلة الإعلامية لِتُوقِع الدعاة فيما ينهون عنه؛ ولتضفي الشرعية على ذلك التبرج وإشاعته وتقبله في المجتمعات الإسلامية المحافظة كالرضا بسياسة الأمر الواقع الذي لا مفر منه وهو على عكس ذلك.

فقد كانت التجربة مع الإعلام سواء المرئي أو المقروء أنهم يستجيبون لطلب من يلتقون به ويوفرون له ما يريد، وهذا هو الواقع مع أكبر الفضائيات، وهي تجربتي شخصيا.

فلا عذر لأحد من الدعاة يظهر مع متبرجة، أو أن يكون متلبسا بأي منكر أمام المشاهدين بحجة توصيل رسالته الدعوية، بل إن اشتراطه إزالة المنكرات دليل على تمسكه بما يحمل من رسالة، وعلى اعتزازه بهويته الإسلامية وحفاظه عليها، وعمله بما أمر من شرع الله، وعدم التهاون فيها يرسخها في الأمة، ولو يعلم الداعي إلى الله حين

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ظهوره بمظهر يخالف الشرع من خلال الإعلام وما يوقع من هزيمة نفسية لدى المسلمين، وما يميع من دين لما ظهر ولآثر عدم الظهور.

المطلب الخامس: مراعاة قوانين الدول أثناء المرور بها.

يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يراعي قوانين الدول أثناء المرور بها، فلا يمكن للداعية أن يأمر وينهى إذا رأى المنكرات الظاهرة في دول كافرة لا تدين بالإسلام، فإنه ليس بعد الكفر ذنب، بل ولا تشرع الإقامة بين ظهراني المشركين إلا للضرورة، أو دعوتهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن، وبما يسمح به قانون تلك البلاد من إقامة جمعيات أو وسائل للإعلام.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة بدون تقدير للأمور ومراعاة ضوابطها قد يجعل المرء يسيء لدينه ونفسه دون أن يعلم.

المطلب السادس: الرحلات وأهميتها كوسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رحلات طلبة العلم لبلاد المسلمين وللقرى النائية منها مهمة جدا، وذلك لأثرها البالغ في تحقيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنها الرحلات إلى البلدان غير المسلمة التي تعيش فيها أقليات إسلامية؛ حيث تحفيزهم للدعوة إلى الله، وتذكيرهم بخطورة ذوبانهم في تلك المجتمعات، وضرورة حفاظهم على هويتهم الإسلامية، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومحاولة جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، فإنهم غالبا ما يفرحون بالدعاة إذا قدموا من أجلهم ويتأثرون بذلك.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب السابع: مراعاة الفتاوى السائدة في البلدان الإسلامية، والعادات والتقاليد لكل بلد.

يجب على الداعية مراعاة الفتاوى السائدة في البلدان الإسلامية، والعادات والتقاليد لكل بلد، وتوخي الإنكار على كل ما يراه إلا بعد المعرفة التامة إذا كان في غير بلده، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والدليل من الكتاب والسنة دون جدال أو مراء.

المطلب الثامن: البعثات الدبلوماسية في السفارات والطلبة في الجامعات.

فإن لهم بالغ الأثر في الاستفادة من رحلاتهم إلى غير بلادهم، إسلامية كانت أو غير إسلامية، فيكونون خير سفراء لبلادهم بما يحملون من نور الإسلام وسمو عقيدته وأحكام شرعيته الغراء.

فلو جعل كل طالب ومبتعث برنامجا للدعوة إلى الله يستقطعه من وقته -ولو جزء قليل في اليوم أو الأسبوع أو الشهر- لعاد بعد بعثته إلى بلاده غانمًا خيرًا كثيرا ومؤثرًا تأثيرًا بالغًا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»[1]، وفي رواية: «خير لك مما طلعت عليه الشمس»[2].

فإن كان لا يستطيع الدعوة بأسلوبه، فإن ما وفرته لجان التعريف بالإسلام ودور الطباعة والنشر في بلاد المسلمين وبشتى اللغات يغني المرء عن الحديث مع أي شخص، بل يكفيه أن يختار ما يناسبه ويناسب دعوته من تلك الكتب والنشرات والرسائل والترجمات بأحجام مختلفة بما يناسب دين المدعوين ولغاتهم، سواء كانوا مسلمين أو غير ذلك. والدال على الخير كفاعله.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ١٣٥٧/٢، ح (٣٤٩٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي، ١٨٧٢/٤، ح(٢٤٠٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٦٩٠/٣، ح(٦٥٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير، ٣١٥/١، (٩٣٠).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الخاتمـــة

من خلال ما سبق من دراسة وتحليل توصل الباحث إلى أهم النتائج وهي:

١. ظهر جليًّا البعد التربوي في شخصية ابن تيمية من خلال سيرته وترجمته؛ حيث يعدّ ابن تيمية علماً من الأعلام التربوية التي يُستفاد ويُتعلم منها الكثيـــر مـــن الجوانـــب التربوية العلمية والأخلاقية التي تجسدت في شخصيته.

٢. يتأكد أهمية دور العالم المربي التربوي المتفاعل مع أمتـــه فـــي جميـــع قـــضاياها، وتوجيهها إلى سبل الرشاد وطريق النجاة؛ حيث كان ابن تيمية مثـــالاً واقعيّـــا فـــي التطبيق العملي للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بأسلوب تربوي فريد شهد لـــه الكثير من العلماء.

٣. استخدم ابن تيمية كافة الوسائل المتاحة المشروعة في عصره لإيصال أفكـــاره إلـــى الأمة، بكل ما يستطيع استعماله من وسائل وأساليب تناسب كل فئة وجماعة ، فمنهجه منهج شمولي تربوي يستوعب كافة أفراد المجتمع وجماعاته. ومن أهم ما اســـتخدم: الاتصال الشخصي، الخطابة، الدروس العلمية، مجالس الإفتاء، المناظرات، الكتابـــة والتأليف، الرسائل الشخصية، الحسبة، الرحلات.

٤. إن استخدام ابن تيمية لكافة الأساليب المتاحة في عصره ليلفت نظر المربين اليوم إلى أهمية استخدام الأساليب العصرية التي تلائم الواقع لإيصال رسالة الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر للأمة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

٥. ركّز ابن تيمية في منهجه على ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكّد على أهمية هذه الضوابط وضرورة مراعاتها، مستنيرًا بهدي الكتاب والسنة وأقوال العلماء وسيرتهم، حيث أبرزها في كتاباته وطبقها في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، والتي تمثلت في ضوابط تخص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وضوابط أخرى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفسه.

٦. ظهر جليا كيفية الاستفادة من وسائل ابن تيمية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقعنا المعاصر من خلال نماذج متعددة.

أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث بالتركيز أكثر على الجانب التربوي لأئمة الفقه الإسلامي كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، ومحاولة إبراز مدى ارتباط الجانب التربوي بالفقه الإسلامي، وجهود الأئمة في ذلك، ومتابعة الجهود التي كتبت وابرازها بشكل اوضح.

٢. كما يلفت الباحث نظر القائمين على المدارس والمعاهد الدينية والجامعات إلى ضرورة تدريس علوم الشريعة وربطها بدلالاتها التربوية، مع الإشارة إلى مواقف الأئمة وعلماء الأمة التربوية، للاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فهرست الآيات

التسلسل	السورة	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
١-	البقرة	﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	٤٤	٥٦
٢-	آل عمران	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١٠٤	٥٢، ٥٨
٣-		﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	١، ٥٥، ٥٦، ١٦٧
٤-		﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾	١٥٩	١٧٤
٥-	المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	٣٥	٧٨
٦-		﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾	٨٣	١٨٣
٧-	الأنعام	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾	١٥٣	١٧٩
٨-		﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦١	١٩٠
٩-	الأعراف	﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾	٥٨	١٩
١٠-		﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾	١٥٧	٥٨
١١-		﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾	١٦٤	٨٥
١٢-	التوبة	﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾	٦٧	٥٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١٣-		﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧١	٥٧
التسلسل	**السورة**	**الآيـــــة**	**رقم الآية**	**الصفحة**
١٤-	هود	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	١٦٧
١٥-	يوسف	﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾	١٠٨	١٦٩
١٦-	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾	٢٨	١٤٨
١٧-	طه	﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٤	١٧٦
١٨-	النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٣٦	١٩٠
١٩-		﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	١٧٧، ١٩٣
٢٠-	الحج	﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	١٤٨
٢١-	لقمان	﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١٧	٢٠، ٥٩، ١٧٣
٢٢-	الشورى	﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾	١٥	١٧٧
٢٣-	التحريم	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا﴾	٦	١٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فهرست الأحاديث

التسلسل	طـــــرف الحديـــث	الصفحـــة
١-	« ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر...	١٧٠
٢-	« استجمروا بها من البول...	١٢٠
٣-	« آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم...	٥٦
٤-	« إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ...	١٧٥
٥-	« إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ...	١٧٦
٦-	« إن الله يبعث إلى لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها...	٤٣
٧-	« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ...	١٧٦
٨-	« أن يستجمر من البول بثلاثة أحجار...	١٢٠
٩-	« أنا عند ظن عبدي بي...	١١٩
١٠-	« إنك تأتي قوما من أهل الكتاب...	١٨٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١١-	« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب...	٨٦
التسلسل	**طـــــرف الحديـــث**	**الصفحـــة**
١٢-	« صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها...	١٢١
١٣-	« لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر...	١٧٠،١٧١
١٤-	« المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم...	٨٢
١٥-	« من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في أرضه...	٥٩، ١٧٣
١٦-	« وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ...	٥٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ثبت المراجع والمصادر

- الألوسي. محمود أبو الفضل. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط٢. وفاة المؤلف١٢٧٠هـ. عدد الأجزاء٣٠. (١٤٠٤هـ). بيروت. دار إحياء التراث العربي . تحقيق: محمد السيد.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري)، ط٣. ولادة المؤلف ووفاته١٩٤هـ/٢٥٦هـ . عدد الأجزاء٦. (١٩٨٧م). بيروت: دار ابن كثير. تحقيق مصطفى ديب البغا.

- البزار، عمر بن علي بن موسى أبو حفص، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية. ط٣. ولادة المؤلف ووفاته٦٨٨هـ/٧٤٩هـ. عدد الأجزاء١. (١٤٠٠هـ) . بيروت. المكتب الإسلامي. تحقيق زهير الشاويش.

- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد. معالم التنزيل. ط٢. وفاة المؤلف٥١٦هـ. عدد الأجزاء٤. (١٩٨٧م). بيروت. دار المعرفة . تحقيق: خالد العك، مروان سوار.

- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي. الجامع الصحيح سنن الترمذي. ولادة المؤلف ووفاته ٢٠٩هـ/ ٢٧٩هـ، عدد الأجزاء٥ . بيروت . دار إحياء التراث العربي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات . ط١. ولادة المؤلف ووفاته٧٤٠هـ/ ٨١٦هـ .عدد الأجزاء١.(١٤٠٥هـ) . بيروت. دار الكتاب العربي. تحقيق: إبراهيم الأبياري.

- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. عدد الأجزاء٥. (١٩٧٩م) . بيروت. المكتبة العلمية. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى/ محمود محمد الطناحي.

- الجزري، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني عز الدين ابن الأثير أبو الحسن. الكامل في التاريخ. ولادة المؤلف ووفاته ٥٥٥هـ /٦٣٠ هـ. عدد الأجزاء٥.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس . منهاج السنة النبوية. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١٠. (١٤٠٦هـ). مؤسسة قرطبة. تحقيق محمد رشاد سالم.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. ط٢. عدد الأجزاء١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. (١٣٦٩هـ). القاهرة. مطبعة السنة المحمدية. تحقيق محمد حامد الفقي.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. الاستقامة. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء٢. المدينة المنورة. جامعة الإمام محمد بن سعود. تحقيق محمد رشاد سالم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء٦. (١٤١٤هـ). الرياض. دار العاصمة. تحقيق علي حسن ناصر, عبد العزيز إبراهيم العسكر , حمدان محمد.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. الرد على المنطقيين. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء. بيروت. دار المعرفة . تحقيق حماد سلامة، محمد عويضة.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية . ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٤٠٧هـ).الأردن. دار المعرفة. تحقيق حماد سلامة، محمد عويضة.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. الصارم المسلول على شاتم الرسول. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء٣. (١٤١٧هـ). بيروت. دار ابن حزم. تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني , محمد كبير أحمد شودري.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. العقيدة الواسطية. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٤١٢هـ). الرياض . الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء. تحقيق محمد بن عبد العزيز بم مانع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. الفتاوى الكبرى . ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء٦. (١٣٨٦هـ). بيروت. دار المعرفة. تحقيق حسنين محمد مخلوف.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. القواعد النورانية. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٣٩٩هـ). بيروت. دار المعرفة. تحقيق محمد حامد الفقي.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. النبوات. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٣٨٦هـ). القاهرة. المطبعة السلفية. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. أمراض القلوب وشفاؤها. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ.عدد الأجزاء١. (١٣٩٩هـ). القاهرة. المطبعة السلفية.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء ١. (١٤٠٨هـ). مكتبة دار العلوم والحكم. تحقيق موسى سليمان الدويش.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء٢. (١٣٩٢هـ). مكة المكرمة. مطبعة الحكومة. تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. تلخيص كتاب الاستغاثة. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٤١٧هـ). المدينة المنورة. مكتبة الغرباء الأثرية. تحقيق محمد علي عجال.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. جامع الرسائل. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١ . مصر. تحقيق محمد رشاد رفيق سالم.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. درء تعارض العقل والنقل. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١٠. (١٣٩١هـ). الرياض. دار الكنوز الأدبية. تحقيق محمد رشاد سالم.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١ . (١٤١٠هـ). الرياض . الإدارة العامة للطبع والترجمة.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. شرح العقيدة الأصفهانية. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٤١٥هـ). الرياض. مكتبة الرشد. تحقيق إبراهيم سعيداي.

- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس. مجموع الفتاوى. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء٣٥. بيروت . دار الكتاب العربي. (١٣٩٣هـ). تحقيق محمد حامد الفقي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله. معجم البلدان . عدد الأجـزاء٥. بيـروت. دار الفكر.

- الدمشقي. محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين. الـرد الـوافر. ط١ . ولادة المؤلـف ووفاته ٦٦٩هـ/٧٥١هـ. عـدد الأجـزاء١. بيـروت . المكتـب الإسـلامي . (١٣٩٣هـ) . تحقيق زهير الشاويش.

- الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء. تفسير القرآن العظـيم. ط١. وفـاة المؤلف ٧٧٤هـ. عدد الأجزاء٤. (١٤٠١هـ). بيروت. دار الفكر . تحقيق: أحمـد يوسف الدقاق.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، التُركماني. سير أعلام النبلاء. ط٩. ولادة المؤلف ووفاته ٦٧٣ هـ/٧٤٨هـ. عـدد الأجـزاء٢٣. (١٤١٣ هـ). بيروت. مؤسسة الرسالة.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بـن قَايْمـاز، التُركمـاني الدمشقي. تذكرة الحفاظ. ولادة المؤلف ووفاته٦٧٣ هـ /٧٤٨هـ. النسخة المكية.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. تاريخ الإسلام ووفيـات المـشاهير والأعلام. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٧٣ هـ/ ٧٤٨هـ. عـدد الأجـزاء٥٢. (١٩٨٧م) . بيروت. دار الكتاب العربي. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- الرازي، أحمد بن علي الجصاص أبو بكر. أحكام القرآن . ولادة المؤلف ووفاته ٣٠٥هـ/٣٧٠هـ. عددالأجزاء٥ . (١٤٠٥هـ). بيروت. دار إحياء التراث العربي. تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. طبعة جديدة . وفاة المؤلف ٧٢١هـ . عدد الأجزاء١. (١٩٩٥م). بيروت . مكتبة لبنان ناشرون . تحقيق: محمود خاطر.

- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق. معاني القرآن وإعرابه. (١٩٧٢م). بيروت. المكتبة العصرية. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

- الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٩١هـ/ ٧٥١هـ. عدد الأجزاء٢. (١٣٩٥ – ١٩٧٥). بيروت. دار المعرفة.

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية. ط٤. ولادة ووفاته ٦٩١هـ/٧٥١هـ. عدد الأجزاء١. (١٤٠٣هـ) . بيروت . دار الكتاب الجديد. تحقيق صلاح الدين المنجد.

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ولادة المؤلف ووفاته ٦٩١هـ/ ٧٥١هـ. عدد الأجزاء٤. (١٩٧٣م). بيروت. دار الجيل. تحقيق طه عبد الرءوف سعد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطل. ط٣. ولادة المؤلف ووفاته ٦٩١هـ/ ٧٥١هـ. عدد الأجزاء٤. (١٤١٨هـ). الرياض. دار العاصمة. تحقيق علي بن محمد الدخيل الله.

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ط٣. ولادة المؤلف ووفاته ٦٩١هـ/ ٧٥١هـ. عدد الأجزاء١ . القاهرة. مطبعة المدني. تحقيق محمد جميل غازي.

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. الوابل الصيب من الكلم الطيب. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٩١هـ/ ٧٥١هـ . بيروت. دار الكتاب العربي. عدد الأجزاء١. (١٤٠٥ هـ). تحقيق محمد عبد الرحمن عوض.

- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله. بدائع الفوائد. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٩١هـ/ ٧٥١هـ. عدد الأجزاء٤. (١٤١٦هـ). مكة المكرمة. مكتبة نزار مصطفى الباز. تحقيق هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد.

- الزركشي. محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله. اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة . ولادة المؤلف ووفاته٧٤٥هـ/٧٩٤هـ. عدد الأجزاء١. المكتب الإسلامي. تحقيق محمد بن لطفي.

- زيدان، عبد الكريم. أصول الدعوة. ط٢، (١٩٨٨م). مؤسسة الرسالة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- الزين، محمد حسني. منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري. ط١. (١٣٩٩هـ). بيروت. المكتب الإسلامي.

- السامرائي. فاروق عبد الحميد حمود. مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(١٩٨٧م). جدة. دار الوفاء.

- السجستاني. سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود. سنن أبي داود . ولادة المؤلف ووفاته٢٠٢هـ/٢٧٥هـ. عدد الأجزاء : ٤. بيروت . دار الكتاب العربي.

- السَلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي الحنبلي. ذيل طبقات الحنابلة. ولادة المؤلف ووفاته٧٣٦هـ/٧٩٥هـ. عدد الأجزاء١.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. ولادة المؤلف ووفاته. (٨٤٩ هـ/ ٩١١ هـ.

- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين. الدر المنثور. ط١. ولادة المؤلف ووفاته٨٢٤هـ/٩١١هـ. عدد الأجزاء٨. (١٩٩٣م). بيروت. دار الفكر. تحقيق: مازن المبارك.

- الشحود، علي بن نايف. موسوعة الخطب والدروس. جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف.

- الشنقيطي، سيد محمد ساداتي. ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام. بحث غير مطبوع .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ولادة المؤلف ووفاته١٣٢٥ هـ/١٣٩٣هـ. (١٤١٥ هـ). بيروت . دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ١١٧٣هـ/ ١٢٥٠هـ. عدد الأجزاء٥. (١٩٩٢م). بيروت . دار الفكر. تحقيق: فاروق حمادة.

- الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله صلاح الدين. أعيان العصر وأعوان النصر. ولادة المؤلف ووفاته٦٩٦هـ/٧٦٤هـ. عدد الأجزاء٣.

- الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله صلاح الدين. الوافي بالوفيات. عدد الأجزاء٣٠. بيروت. تحقيق ماهر جرار.

- الطاهر، محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير ـــ الطبعة التونسية. ولادة المؤلف ووفاته ١٢٩٦هـ/ ١٣٩٣ هـ. (١٩٩٧م). عدد الأجزاء٣٠. تونس. دار سحنون للنشر والتوزيع.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط١. ولادة المؤلف ووفاته٢٢٤هـ/٣١٠هـ. عدد الأجزاء٣٠. (١٤٠٥هـ). بيروت . دار الفكر. تحقيق: مصطفى مسلم محمد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

- الظاهري، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد . الإحكام في أصول الأحكـام. ط١. عدد الأجزاء٨ . ولادة المؤلف ووفاته٣٨٤ هـ/ ٤٥٦هـ، (١٤٠٤هـ). القاهرة . دار الحديث.

- الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي أبو محمد. المحلـى . ولادة المؤلف ووفاته٣٨٤هـ/ ٤٥٦هـ، عدد الأجزاء١١. بيروت . المكتب التجاري للطباعة والنشر.

- الظاهري، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الحنفي أبو المحاسن. النجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة. ولادة المؤلف ووفاته ٨١٣هـ/٨٧٤هـ. عدد الأجزاء٥.

- الظاهري، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الحنفي جمال الـدين أبـو المحاسـن. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. ولادة المؤلف ووفاته ٨١٣هـ/ ٨٧٤ هـ

- عبدالعزيز بن محمد بن علي آل عبداللطيف. مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل. الرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- العثيمين، محمد بن صالح. الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات. جمع وترتيب أبو أنس علي حسين أبو لوز .

- العسقلاني، ابن حجر. ترجمة ابن تيمية من الدرر الكامنة. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٦١هـ/٧٢٨هـ. عدد الأجزاء١. (١٤١٤هـ). القاهرة. مطبعة المـدني. تحقيـق محمد جميل غازي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- العكري، عبد الحي بن أحمد الدمشقي ابن العماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ولادة المؤلف ووفاته ١٠٣٢هـ/١٠٨٩هـ. عدد الأجزاء٨. بيروت. دار الكتب العلمية.

- العمادي، محمد بن محمد أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ط١. ووفاته ٩٥١هـ. عدد الأجزاء٩. (١٤٠٨هـ). بيروت. دار إحياء التراث العربي. تحقيق: محمد عبد السلام محمد.

- العمري، إبراهيم صالح سليمان. المنهج التربوي للإمام ابن تيمية في تغيير المجتمع في بلاد الشام.(١٩٩٨م). رسالة ماجستير. جامعة اليرموك. قسم الدراسات الإسلامية.

- القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء. البداية والنهاية . ولادة المؤلف وفاته ٧٠١هـ/ ٧٧٤هـ. عدد الأجزاء١٤. بيروت . مكتبة المعارف.

- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله. الجامع لأحكام القرآن. ط٢. وفاة المؤلف٦٧١هـ. عدد الأجزاء٢٠.(١٣٧٢هـ). القاهرة. دار الشعب. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

- قنصوة، عبد الجواد بن محمد. منهج الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (١٩٩٨م). رسالة ماجستير. الجامعة اليمنية. كلية الآداب. قسم الدراسات العليا.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- الكتبي، محمد بن شاكر. فوات الوفيات. ط١. عدد الأجزاء٤. (١٩٧٤م). بيروت. دار صادر.
- الكرمي، مرعي بن يوسف الحنبلي. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية. ط١. وفاة المؤلف ١٠٣٣هـ. عدد الأجزاء١. (١٤٠٤هـ). بيروت . دار الفرقان , مؤسسة الرسالة. تحقيق نجم عبد الرحمن خلف.
- الكيلاني، ماجد عرسان. الفكر التربوي عند ابن تيمية. (١٩٨٥م). جامعة الملك عبد العزيز. كلية التربية. فرع المدينة المنورة. عمان. جمعية عمال المطابع التعاونية.
- المصري، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي. لسان العرب. ط١. ولادة المؤلف ووفاته ٦٣٠هـ/ ٧١١هـ. عدد الأجزاء١٥. (١٩٧١م). بيروت. دار صادر . تحقيق: محمود خاطر.
- المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة أبو عبد الله، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. ط٣. ولادة المؤلف ووفاته ٧٠٤هـ/٧٤٤هـ. عدد الأجزاء١. (١٤١٨هـ). بيروت. دار الكاتب العربي. تحقيق محمد حامد الفقي.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي. السلوك لمعرفة دول الملوك. ولادة المؤلف ووفاته٧٦٦هـ/٨٤٥هـ. عدد الأجزاء٣.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف . ط١ . ولادة المؤلف ووفاته٩٥٢هـ/١٠٣١هـ. عدد الأجزاء١. (١٤١٠هـ) . بيروت. دار الفكر المعاصر. تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- موقع إخوان أون لاين. ٢٠٠٤/٠١/٠٥م. معالم أساسية لنجاح الداعية. معالم أساسية لانطلاقة الداعية.

- النسفي. تفسير النسفي. ط٢. عدد الأجزاء٤. (١٣٧٢هـ). القاهرة . دار الشعب. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي. الدارس في تاريخ المدارس. ط١. وفاة المؤلف ٨٤٥هـ/ ٩٢٧هـ. (١٤١٠هـ). بيروت. دار الكتب العلمية. تحقيق إبراهيم شمس الدين.

- النووي، يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا. شرح النووي على صحيح مسلم . ط٢. ولادة المؤلف ووفاته ٦٣١هـ/٦٧٦هـ.(١٣٩٢هـ). عدد الأجزاء ١٨. بيروت . دار إحياء التراث العربي.

- النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم أبو عبد الله. المستدرك على الصحيحين. ط١. ولادة المؤلف ووفاته٣٢١هـ/٤٠٥هـ. عدد الأجزاء٤. (١٤١١هـ). بيروت. دار الكتب العلمية. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري. صحيح مسلم. ولادة المؤلف ووفاته٢٠٤هـ /٢٦١هـ. عدد الأجزاء٥ . بيروت: دار إحياء التراث العربي. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

- الوردي، زين الدين عمر . خريدة العجائب وفريدة الغرائب(تاريخ ابن الوردي). عدد الأجزاء١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

Abstract

The study dealt with the problem of reviving the role of the Promotion of Virtue and Prevention of Vice and its application on the ground means and methods of education achieved important successes in changing the state of the nation for the better through a model characterized by Ibn Taymiyah important role in addressing the problems faced by the nation.

Vtaraft study on the personality of Ibn Taymiyyah and the most prominent features, and demonstrating the factors that influenced in its approach. The study was presented analysis and debate the most important means and methods used by Ibn Taymiyyah in the Promotion of Virtue and Prevention of Vice and reflected in order to facilitate reference and benefit from, and understanding commensurate with the present era. And clarified the study controls Promotion of Virtue and forbids what is evil, and controls the application of the Promotion of Virtue and Prevention of Vice on the ground.

The study relied on analytical and inductive approach that extrapolation and analysis written by Ibn Taymiyyah with respect to enjoin what is good and forbidding what is evil, and studied education and to draw conclusions and develop interest.

The most important results of the study, to appear clearly after the education in the character of Ibn Taymiyah and complexity of the pedagogical aspects, and that Ibn Taymiyyah was a true example of the practical application of enjoining what is good and forbidding what is evil, and that use all means available to legitimate his time, and focused in its approach to controls is Propagation of Virtue and Prevention of Vice and the need to be taken into account.

The researcher recommended the need to address the educational aspects of Islamic jurisprudence and to highlight the efforts of the imams in it.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com